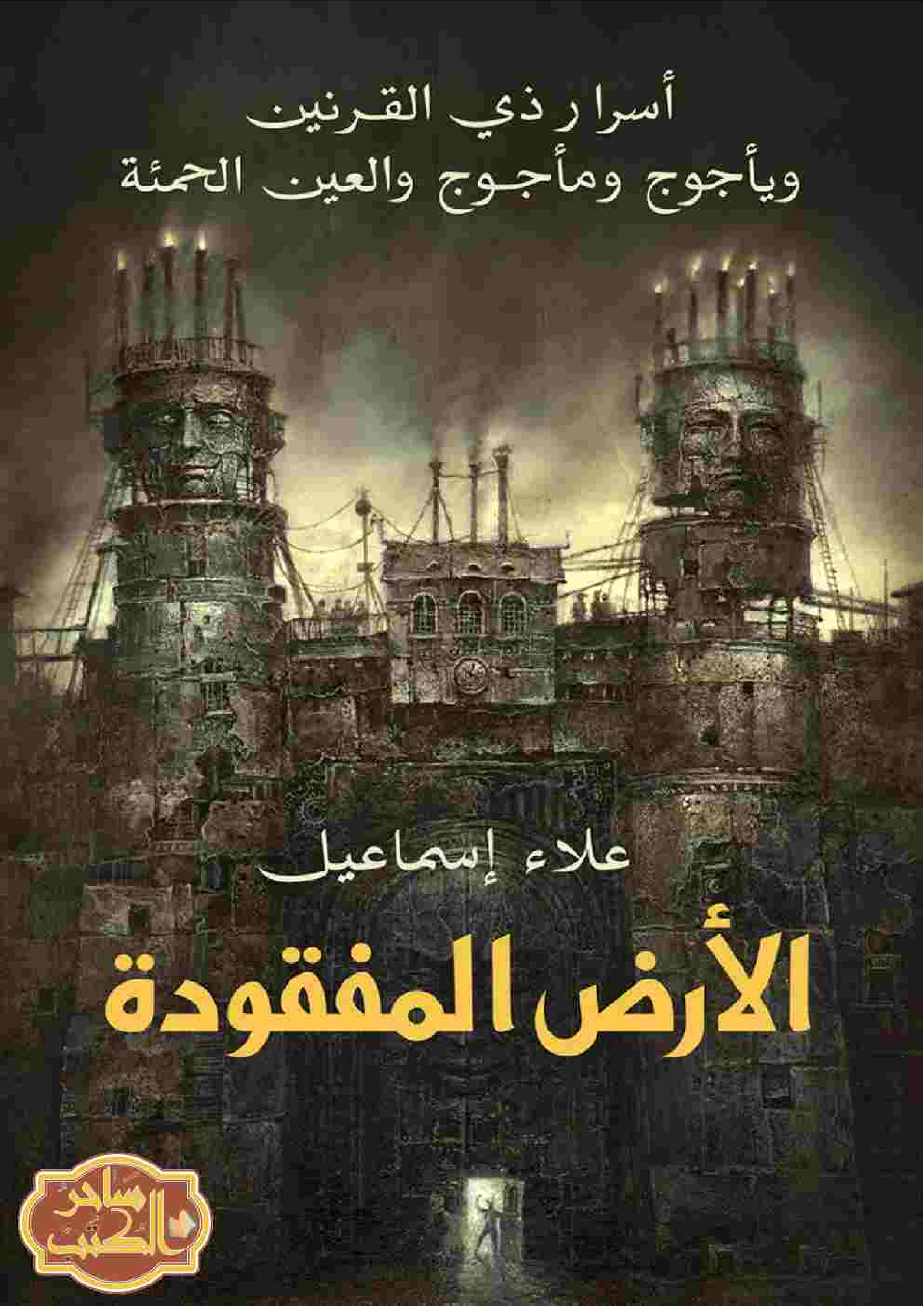


أسرار ذي القرنين
ويأجوج ومأجوج والعين الحمئة
علاء إسماعيل
الأرض المفقودة

قصة حقيقية!!

رأى الخليفة العباسي الواثق بالله رؤيا أفزعته وأطارت النوم من عينيه.. رأى أن سد ذي القرنين قد انفتح، وخرج منه يأجوج ومأجوج، فدعا سلام الترجمان - وهو رجل يتكلم بثلاثين لسانًا - وكلَّفه برحلة إلى السد، وقال له: «اذهب وانظر إلى هذا السد وجئني بخبره وحاله، وما هو عليه».

فاستعدّ الترجمان وجهّز نفسه للمسير.. فماذا حصل بتلك الرحلة الموعودة؟

إننا قبل أن نتكلم عن ملابسات تلك الرحلة، يحسن بنا أن نخوض في غمار ذي القرنين وما قيل حوله.

تقديم

إن شخصية ذي القرنين كانت وما زالت محل جدلٍ بين العلماء والمفكرين والكُتاب، وطُرِحت عدة نظريات وآراء حول هذه الشخصية من أهمها والأكثر شهرة بين الناس أنه هو «الإسكندر المقدوني» مستدلين بكتاب كالستنثس المعاصر للإسكندر المقدوني، وفريق آخر من الباحثين يرى أنه الملك «كورش الفارسي»، وفريق ثالث رجح أنه ملك عربي قديم معاصر لإبراهيم الخليل عليه السلام.

لذلك سوف نتعرض بشكلٍ مسهب عن قوم يأجوج ومأجوج، وأين مكان وجودهم، ونحاول أن نجيب عن بعض التساؤلات التي كانت مدار جدلٍ بين الباحثين؛ منها على سبيل المثال:

هل مخطوطة كالستنثس المؤرخ المعاصر للإسكندر المقدوني حقيقية؟

ما هي أسطوانة الملك كورش الموجودة بالمتحف البريطاني،

ومن هو الملك العربي الحميري؟

ومن هم قوم يأجوج ومأجوج؟ وهل هم موجودون تحت الأرض أم هم شعوب شرق آسيا؟

يحتوي التاريخ على أبطالٍ ومشاهيرَ وملوكٍ استطاعوا أن يُغيّروا مجرى التاريخ، وأن يُخلدوا أسماءهم ككواكب منيرة تضيءُ لها مشاعل التاريخ، كلما احتاج المرء أن يزيد استفادةً انكب على سِيَر هؤلاء الأعلام؛ ليستحث اللؤلؤ الراكد تحت المياه أن تصعد لتتلألأ لها عقول بني البشر.

إن الإنسان - ولا شك - يحتاج إلى معرفة أبطاله الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه؛ ليتخذهم قدوةً، ولاسيما القائد الحكيم يحتاج إلى معرفة هؤلاء القادة العظام؛ ليستلهم منهم الخبرة والحنكة، وقد قيل: الماضي مرآة المستقبل.

ومن هؤلاء العظماء الذين خُلِّد ذِكرهم في التاريخ، ذو القرنين، هذه الشخصية الفريدة التي ذكرها الله في القرآن الكريم في سورة الكهف، فيا لها من كرامة، وأي كرامة.. أن يختص الله إنسانًا بذكره في القرآن ممتدحًا إياه.

ليتلوَ المسلمون آياته آناء الليل وأطراف النهار.

من الخطأ الشائع في أوساط المثقفين والقراء أنهم يخلطون بين نظرة الإسلام لمسألةٍ معينة، وبين ما هو موجود في كتب التراث الإسلامي فيما يخص تلك المسألة، فمن المقرر علميًا أن دواوين الإسلام تحتوي على نُقول ومرويات نُقِلت عن أهل الكتاب، كان هدف المسلمين الأوائل من نقلها هو السبر والتتبع والاستيعاب في المسألة الواحدة، وليس هدفهم تصحيح أو تقرير فكرةٍ بعينها.

ومن هذا المنطلق نقول: إن النظرة الإسلامية تعتمد على القرآن الكريم، وصحيح السنة النبوية.

أما غير ذلك من الإسرائيليات فيجوز روايتها مع عدم الجزم بها، وأدلة الجواز كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[آل عمران: ٩٣]، وأقوى دليل من السُنة ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

ونجمع بين هذا وبين حديث «لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكذِّبوهم»؛ أي فيما ليس فيه نص في القرآن والسُّنة، فهنا يمكن أن يُروى عن أهل الكتاب فيما ليس فيه نص، ولا نُصدِّقه لاحتمال أن يكون كذبًا، ولا نُكذِّبه لاحتمال أن يكون صدقًا، بل يروى ذلك استئناسًا لا إقرارًا وتصديقًا.

يقول الدكتور صبري نعناعة في «الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» (صـ ٩٧): «وجملة القول إن حكم رواية الإسرائيليات هو الجواز المقيد ضمن دائرة محدودة بيّنتها السُّنة وأقوال الصحابة وعملهم؛ فكل رواية من هذه الأحاديث الإسرائيلية إن صدَّقها الشارع فهي مقبولة يقينًا، وإن كذَّبها فهي مردودة يقينًا.

وإن كان الشارع ساكتًا عن التصديق والتكذيب لها فنسكت عنها فلا نصدِّق ولا نكذِّب، وهذا منهج سديد لا تخشى منه غائلة الإسرائيليات».

سبب نزول الآيات

أرادت قريش أن تختبر صدق نبوّة محمد ﷺ، وانطلقت تلك الفكرة في عقول قريشٍ، ولم يجدوا حلًّا مثاليًا أفضل

من سؤال اليهود؛ فهم يعلمون من دقائق أمور النبوات ما لم يعلمه غيرهم.

فبعثت قريش اثنين هما النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهما: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول.

ولكن يبدو أن هذا لم يكن اختبارًا؛ بهدف التأكد من نبوته والوصول إلى الحقيقة، كيف؟! ولو أنهم يؤمنون أن ما عند اليهود من عند الله ويجب اتباعه لاتبعوهم دون محمد!! نعم.. إنه اختبار يهدف إلى التعجيز، حتى إذا لم يجِبْهم النبي إلى ما طلبوه، جعلوا ذلك مُتكًا في كفرهم به وعدم إيمانهم، وتطمينًا لأنفسهم من تأنيب الضمير؛ حتى يتبعوا دين آبائهم وأجدادهم.

فخرج النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط حتى قدما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفا لهم أمره، وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل

فالرجل متقوِّل، فرَوْا فيه رأيكم. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإنهم قد كان لهم شأن عجيب. وسلوه عن رجل طوَّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك، فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقوِّل.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «أخبركم غدًا عما سألتم عنه ولم يستثنِ» - يعني لم يقل: «إن شاء الله» - فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يُحدِث الله له في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبريل عليه الصلاة والسلام، حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمدٌ غدًا، واليوم خمس عشرة ليلة، وقد أصبحنا فيها ولا يخبرنا بشيء عما سألناه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مُكْث الوحي عنه، وشقَّ عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، وقول الله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى﴾... إلى آخر الآيات.

وسبب النزول هذا ذكره العلماء كابن إسحاق والطبري عن ابن عباس، والحديث ضعَّفه الحافظ ابن حجر، لكن اعتمد

عليه الكثير من أهل التفسير، وهو مما يُستأنس به.

ويقول أحد المستشرقين وهو د.ولفنسون مدرّس اللغات السامية، في رسالته «تاريخ اليهود في بلاد العرب» (صفحة ٩٨) ما يأتي:

«وينفي بعض المستشرقين صحة هذه القصة الخطيرة دون أن يأتوا بدليل نطمئنُّ إليه، والحق أن من العسير إنكار رواية تاريخية كانت سببًا في نزول سورة الكهف والآيات الخاصة بالروح وذي القرنين، وعندنا دليل يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الرواية من المحتمل أن تكون واقعية، وهي أن في التلمود قصةً مشهورةً تشبه قصة أهل الكهف، ومن هذه القصة أخذ أحبار اليهود الأسئلة التي وجَّهوها للرسول بواسطة وفد قريش، ويؤيد هذه القصة ما ذهبنا إليه من أنه لم يكن بمكة أحد من اليهود؛ إذ لو وُجِد منهم في مكة ما أوفد قريش وفدهم إلى المدينة؛ ليسألوا أحبار اليهود عن شأن النبي، وإذا وُجِد منهم أحد فلا بد أن يكون غير عالم). أهـ.

لكن تعالوا بنا إلى روايةٍ أخرى رائعة.. ولعلها أكثر واقعية، يخبرنا الحافظ ابن أبي حاتم الرازي، حيث يروي

هذه القصة بطريقةٍ أخرى؛ وهي أن اليهود أنفسهم هم الذين سألوا النبي عن ذلك، وليس قريشًا، فأتوا إلى بيته عليه الصلاة والسلام؛ ليسألوه وجهًا لوجه، وقالوا: يا أبا القاسم، إنما أنت تذكر إبراهيم وموسى وقصص الأنبياء؛ لأنك سمعت قصصهم من التوراة، ثم سألوه عن رجل لم يذكره الله إلا في موضع واحد، ولعل هذا السؤال؛ ليختبروا به صدق النبي ﷺ، فقال: ما بلغني عنه شيء، ففرحوا بذلك، وظنوا أنهم انتصروا عليه.

فلما همُّوا بالخروج إلى الباب، نزل الوحي وتلا عليهم: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ ... حتى إذا بلغ بناء السد، قالوا: «قد أتاك خبره يا أبا القاسم».

قصة ذي القرنين في الإسلام

الأساطير عادةً ما تكثر حول الشخصيات التاريخية القديمة، وتكون مادةً خصبةً، ومرتعًا سهلًا ميسورًا لأخبار القصاصين، وأخبار أهل الكتاب التي فيها الحق، وفيها الباطل.

وقد اختلف العلماء على التحديد الحقيقي والشخصي لذي القرنين؛ فمنهم من حدّد هويته بأنّهُ الإسكندر الأكبر، ومنهم من قال هو كورش الكبير ومنهم من قال هو الملك العربي الحميري صعب بن المرثد، بل شطح البعض قائلًا إن ذي القرنين هو نفسه أخناتون الفرعون المصري!!

والخبر اليقين إنما يكون في القرآن، وصحيح السُنة النبوية، أما ما دون ذلك من الأخبار فتُروى ولا تُصدَّق ولا تُكذَّب، بل ينبغي التوقف فيها. وكما قالوا: قد أحسن من انتهى إلى ما قد سمع.

والحق أقول: إننا في كتابنا هذا سنتعرض لجميع الآراء التي قيلت في ذي القرنين من قصصٍ وحكاياتٍ وأساطير،

مرجحين تارةً من غير جزمٍ، ومتوقفين تارةً أخرى... وما جاء به القرآن والسنة ففيه الكفاية.

يبدأ القرآن الكريم قصته عن ذي القرنين بتجواله مع جيشه في الأرض، داعيًا إلى الله عز وجل، واتبع الأسباب الموصلة للجهاد في سبيله، فاتجه أولا غربًا: حتى وصل إلى مغرب الشمس، والتي نرجِّح أنها قارة أمريكا الشمالية كما سيأتي من دلائل، وجد الشمس تغرب من وراء عينٍ حارة، كما يرى أحدنا وهو على الشاطئ أن الشمس تغرب وكأنها تغطس في البحر فيما يرى الرائي.

عندها وجد قومًا ألهمه الله أن يُعذِّبهم على جرائمهم، أو يتركهم، فهو مُخيَّر في ذلك، فلما وجد نفسه مُخيرًا اختار أن يُعذِّب من ظلم، ولكن من آمن بالله فسوف يعفو عنه، وقيل إن الخضر عليه السلام كان مصاحبًا لذي القرنين، وهو الذي أخبره بكلام الله عز وجل.

أعد ذو القرنين عُدَّته وجمع جيوشه، وعزموا على الرحيل من المغرب، واتجهوا إلى المشرق، فانتهى بجيوشه إلى منطقة في أقصى المشرق لم يستطع أن يتعدَّاها، ووجد عندها قومًا لا يفهمون الكلام، ولا كلام الترجمان الذين

يُحسنون كثيرًا من اللغات.

توجّه الى أقصى الشرق من مكان ما تشرق فيه الشمس، وهذه الأرض كانت مكشوفةً لا أشجار فيها ولا مرتفعات تحجب الشمس عن أهلها، وحكم بأهلها كحكمهِ على أهل الغرب.

من بعد ما انتهى ذو القرنين من أهل الشرق أكمل طريقه حتى وصل إلى قوم يعيشون بين جبلين أو سدّين وبينهما فجوة، وكانوا يتكلمون بلغة غريبة غير مفهومة، وعندما وصل إليهم وجدوا فيه من القوة والملك والأمانة والشجاعة ما يمكّنه من إنقاذهم من هجمات أقوام يأجوج ومأجوج الهمجية البربرية.

فطلبوا منه المساعدة؛ ليجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدًا مقابل خراجًا من أموال، فوافق الملك أن يجعل بينهم سدًا، ولكنّه لم يرضَ أن يأخذ مالًا وزهد عنهُ، قائلًا: ما مكّنّي فيه الله عز وجل خيرٌ من مالكم هذا.

وقد أتاه الله من الحكمة؛ فقد استخدم ذو القرنين هندسة رائعة في بناء السد، فقد قام بجمع الحديد ووضعها في

الفتحة حتى تساوت مع قمتي الجبلين (صدفتي الجبل) وأوقد النار عليها، ومن ثم سكب عليه النحاس المذاب حتى يصبح أكثر صلابة وقوّة، فسدَّ الفجوة، ومنع الطريق عن قوم يأجوج ومأجوج.

الفائدة من القصة رغم قوّة حكم ذي القرنين، وما أعطاه الله من الحكمة ومن قوّة ومن عزَّة لم يسكن قلبه الغرور، فقد جال الشرق والغرب وحكم العالم بحكمهِ العادل ولم يأخذه الكبر، وأن الحاكم الصالح باستطاعتهِ التغيير للأحسن لقومهِ وشعبهِ، ورغم الفتوحات التي فتحها وحكمه الشاسع لم يكن هدفه الجمع المادي فقط للدعوة إلى الله ورفع الظلم، ولم يقم باستغلال الأشخاص والجماعات الذين كان يمر عليهم، وكان يعاملهم برفق؛ فهي قصة يجب أن يتَّعظ منها الحكام ومن لديه السلطة سواءً كان في عمله أو في بيته أو مهما كان؛ فالرفق والرحمة والتواضع من صفة العظماء.

قال الله تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن

نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ [الكهف: ٨٣ - ٩٨].

ذو القرنين في اليهودية والمسيحية

لم تُصرِّح كتب اليهود بلقب ذي القرنين، لكن أومأت إلى الملك كورش الكبير الإخميني كما سيأتي بيانه.

في كتب العهد القديم ككتاب عزرا أن كورش ملك الفرس هو ملك مؤمن بالله وباليوم الآخر، يدل على ذلك ما في كتب العهد القديم، ويحدثنا كتاب عزرا (الإصحاح ١)، وكتاب دانيال (الإصحاح ٦)، وكتاب أشعيا (الإصحاح ٤٤ و٤٥) عن كورش الفارسي، وأنه مسيح الله حتى سماه في كتاب الأشعياء «راعي الرب»، وقال في الإصحاح الخامس والأربعين: «هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أممًا وأحقاء ملوك أحل لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق. أنا أسير قدامك والهضاب أمهد أكسر مصراعي النحاس ومغاليق الحديد أقصف. وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابي. لكي تعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك. لقبتك وأنت لست تعرفني».

هكذا تُحدِّثنا التوراة، ويبدو أن بعض العلماء رجَّح أن ذي القرنين هو كورش الفارسي بناءً على ذلك.

لكن يبدو أن المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس من القرن الأول للميلاد له رأي آخر، فيذكر فلافيوس بناء الإسكندر الأكبر بوابات في جبال القوقاز؛ لصدّ البرابرة الذين يُعرفون بيأجوج ومأجوج، حيث يقول عنهم: «أمة من اللان، والذين سبق وأسميناهم سكيثيين (أو أسكوذيين)، كانوا يترحلون معبرًا كان الإسكندر قد سدّه ببوابات حديدية». أهـ.

ويسجّل يوسيفوس أيضًا أن شعب مأجوج، الماجوجيين، هم أنفسهم السكيثيين.

أما قصة ذو القرنين في المسيحية، فيحكي لنا القديس جيريوم المتوفى عام ٤٢٠ قبل الميلاد في (رسالته السابعة والسبعين) عن مخيمات شعب الهون، وهم شعب يأجوج ومأجوج، ويذكر الإسكندر الأكبر باسمه الصريح، فيقول القديس جيريوم: «مخيمات الهون [شعب همجي مترحّل] قد تسرّبت وقطعت الطريق من مايوتيس [اسم قديم لبحر آزوف شمال البحر الأسود] (وكانت ديارهم بين تانايس المثلجة والماساجيتيين الهمج في المكان الذي تصدُّ فيه بوابات الإسكندر الشعوب الوحشية في ما وراء القوقاز». أهـ.

وبذلك نخرج بنتيجة أن التضارب حول شخصية ذي

القرنين كان منذ القديم، ولم تُجمِع الكتب القديمة على شخصيةٍ بعينها، ولا يمكن - والحالُ كذلك - أن تُحسَم القضية إلا بدليل قطعي، وأما تحديد القديس جيريوم وفلافيوس لشخصية لإسكندر إنما هو من قبيل الاجتهاد؛ إذ إن هذه الرسائل ليست من الكتب الإلهية المقدسة.

وسوف نتعرض لهذه الأدلة بشيء من التفصيل في الفصول التالية إن شاء الله.

شخصيات قيل إنها ذو القرنين

الإسكندر المقدوني

بداية حياته: هو ابن فيليب، وُلِد بمدينة (بِلا) سنة ٣٥٦ ق.م، ولما بلغ الثالثة عشرة، وأتم دراسته الأولية، أسلمه والده إلى الفيلسوف أرسطو؛ ليُربيه، وكتب إليه هذا الخطاب: «من فيليب إلى أرسطو. سلامٌ عليك، أخبرك أن قد وُلِد لي غلام، فأشكر الآلهة على أن أوجدوه في زمان أرسطو أكثر مما أشكرهم على أن منحونيه». أهـ.

فقرأ الإسكندر على أستاذه كل المعارف الإنسانية المعروفة إذ ذاك بين شعر وسياسة وأخلاق وفصاحة وطبيعة، وطب... إلخ.



صورة عملة يونانية، ويظهر عليها صورة الإسكندر ويظهر في الصورة قرنان

الإسكندر في رؤيا دانيال هو تيس الماعز

إن سفر دانيال –وهو من أسفار اليهود - تنبَّأ بالإسكندر الأكبر، وذلك قبل ظهور الإسكندر بعدة قرون من الزمان، لكن شبَّه دانيال مملكة فارس بالكبش ذي القرنين، وشبَّه مملكة الإسكندر «اليونان» بالتيس ذي القرن الواحد الذي تغلَّب على ذلك الكبش.

وهذا مما يستدل به القائلون إن كورش الكبير «الفارسي» هو ذو القرنين - كما سيأتي - لأن الإسكندر قد غلب مملكته.

لكن يُردُّ على ذلك بأن الإسكندر إنما هزم داريوس الفارسي، أما كورش فقد كان ملكًا قبل داريوس.

- **جاء في سفر دانيال (الإصحاح الثامن):**

«رأيت الكبش ينطح غربًا وشمالًا وجنوبًا فلم يقف حيوان قدامه، ولا منقذ من يده، وفعل كمرضاته وعظم.

وبينما كنت متأملًا إذا بتيس من المعز جاء من المغرب على وجه كل الأرض ولم يمس الأرض، وللتيس قرنٌ معتبر بين عينيه.

وجاء إلى الكبش صاحب القرنين الذي رأيته واقفًا عند النهر، وركض إليه بشدة قوته.

ورأيته قد وصل إلى جانب الكبش، فاستشاط عليه وضرب الكبش وكسر قرنيه، فلم تكن للكبش قوة على الوقوف أمامه، وطرحه على الأرض وداسه، ولم يكن للكبش منقذ من يده.

فتعظم تيس المعز جدًا. ولما اعتزَّ انكسر القرن العظيم، وطلع عوضًا عنه أربعة قرون معتبرة نحو رياح السماء الأربع».

من النص السابق تجد أن دانيال وصف الإسكندر المقدوني الذي هزم مملكة فارس الذي يُرمز لها بتيس الماعز، ونلاحظ أن هذا التيس كان له قرون واحد، وطلع له أربعة قرون.

أدلة أن الإسكندر هو ذو القرنين

هنا نقدم حقيقة صلبة، تلك الحقيقة التي قدمناها في سبب نزول الآيات، وتتجلى هذه الحقيقة في سؤال أهل الكتاب للنبي ﷺ، عندما نتأمل سبب نزول الآيات التي فيها ذكْر ذي القرنين نجد أن اليهود سألوا النبي عن رجل معروف لديهم طاف المشرق والمغرب، والسؤال لا بد وأن يأتي من مصادرهم - أي من مصادر اليهود ومن أدبياتهم - وليس من أي مصدر آخر؛ أي أن قصة ذي القرنين معروفة لهم ومشتهرة عندهم.

وعليه؛ فإن هذه المقدمة قرينة قد تؤيد استبعاد الملك العربي الحميري من دائرة الاحتمالات التي تقول بأنه ذو القرنين؛ وذلك لأن الحميري هذا غير معروفٍ في أدبيات

اليهود، ولا أهل الكتاب، وعليه، فيبقى الاحتمال بين كورش الفارسي أو الإسكندر المقدوني الذي كان يلبس الخوذة ذات القرنين.

ما يؤيد أن ذا القرنين هو الإسكندر الأكبر والانتقادات الموجهة إلى ذلك الرأي:

تُحدِّثنا بعض الروايات النبوية التي جاءت بشأن ذي القرنين أنه رجلًا من الروم بنى الإسكندرية، وبطبيعة الحال العرب كانوا قديمًا يعتبرون اليونان من جُملة الروم؛ لأنها تقع تحت سلطانهم.

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذي القرنين: «كان من الروم، فأعطى مُلكًا، فصار إلى مصر وبنى الإسكندرية، فلما فرغ أتاه ملك فعرج به: فقال انظر ما تحتك، قال: أرى مدينة واحدة، قال: تلك الأرض كلها، وإنما أراد الله أن يريك، وقد جعل الله لك في الأرض سلطانًا، فسِرْ فيها، وعلِّم الجاهل، وثبِّت العالم». أخرجه الطبري ومحمد بن ربيع الجيزي في كتاب «الصحابة الذين نزلوا مصر».

وقد ضعّف الحافظ ابن حجر إسناد هذا الحديث ثم قال:

«ولو صح لرفع النزاع، ولكنه ضعيف». أهـ. وهو مما يستأنس به القائلون بأنه الإسكندر، ومن هذا الفريق الفخر الرازي، وأبو حيان الأندلسي، وابن الأثير.

لكن فلنتأمل سويًا هذه الرواية الأكثر صراحة، وإن شئت فقل الأكثر غرابةً بشأن الإسكندر الأكبر.

قال أبو الشيخ الأصفهاني في كتابه «العظمة»: عن شيخين من شيوخ تجيب - وهي قبيلة - قالا: كنا بالإسكندرية، فقلنا: لو انطلقنا إلى عقبة بن عامر، فتحدثنا عنده، فانطلقنا، فوجدناه جالسًا في ظل داره، فأخبرنا الخبر، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: أنا عبد لا أعلم إلا ما علمني ربي، ثم قال: اذهب فمن وجدت بالباب من أصحابي فأدخلهم، فلما رآهم النبي ﷺ قال لهم: إن شئتم لأخبرتكم بما جئتم تسألوني عنه قبل أن تكلموني، وإن شئتم تكلمتم فأخبرتكم بما جئتم تسألوني عنه قالوا: بل أخبرنا. قال: جئتم تسألونني عن ذي القرنين، فسوف أخبركم كما تجدونه مكتوبًا في كتبكم إن أول أمره كان غلامًا من الروم أعطي ملكًا، فسار حتى أتى أرض مصر، فابتنى عندها مدينة يقال لها الإسكندرية، فلما فرغ من بنائها أتاه ملك، فعرج به، فقال: انظر ما تحتك، فقال: أرى مدينتي، وأرى معهما مدائن، ثم عرج به، فقال: انظر ما

ترى، فقال: أرى مدينتي قد اختلطت بالمدائن، ثم زاد، فقال: انظر ما ترى، قال: لا أرى مدينتي وحدها لا أرى غيرها. فقال له الملك: لك تلك الأرض كلها، وهذا السواد الذي ترى محيطًا بنا البحر، وإنما أراد الله تبارك وتعالى أن يريك الأرض وقد جعل لك سلطانًا فيها فسِرْ في الأرض، فعلِّم الجاهل وثبِّت العالم، فسار حتى بلغ مغرب الشمس، ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس، ثم أتى السدين وهما جبلان ليِّنان يزلق عليهما كل شيء، فبنى السد، ثم سار فوجد يأجوج ومأجوج يقاتلون قومًا وجوههم كوجوه الكلاب، ثم قطعهم، فوجد أمة من الفراش يقاتلون القوم القصار، ثم قطعها، فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة، ثم أفضى إلى البحر المدير بالأرض، فقالوا: إنا نشهد أن أمره كان هكذا».

وبطبيعة الحال، كل الروايات التي صرحت بأنه الإسكندر أو باني الإسكندرية هي روايات ضعيفة جدًا، لا يُعتمد عليها، وإن كان قد يُستأنس بها.

قال أبو حيان الأندلسي: ذو القرنين هو الإسكندر اليوناني، ذكره ابن إسحاق، وقال وهب: هو رومي... إلى أن قال: المشهور أنه الإسكندر. «البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي» (ج٦ صـ ١٥٨).

وقال ابن الأثير: إن الإسكندرية قد بناها الإسكندر ذو القرنين «اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير» (ج١ صـ٤٦، طبعة ١٣٥٧هـ).

• **وذكر فخر الدين الرازي أقوالًا منها:**

«إنه هو الإسكندر بن فيلبوس اليوناني، قالوا: والدليل عليه أن القرآن دلَّ على أن الرجل المسمى بذي القرنين... إلى أن قال: فلما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين كان رجلًا ملك الأرض بالكلية، أو ما يقرب منها، وثبت بعلم التواريخ أن الذي هذا شأنه ما كان إلا الإسكندر؛ وجب القطع بأن المراد بذي القرنين هو الإسكندر بن فيلبوس اليوناني».

ورجح فخر الدين الرازي أنه الإسكندر بقوله: «فهذا جملة ما قيل في هذا الباب، والقول الأول أظهر لأجل الدليل الذي ذكرناه، وهو أن مثل هذا الملك العظيم يجب أن يكون معلوم الحال عند أهل الدنيا، والذي هو معلوم الحال بهذا الملك العظيم هو الإسكندر».

أدلة القائلين بأنه الإسكندر المقدوني

إن كتب التاريخ هي تسجيل ووصف للتاريخ على أسس علمية تابعة لمن يكتب التاريخ، ومن ضمن كتب التاريخ التي

ناقشت قضية الإسكندر الأكبر هو كتاب (كاليستينيس) إذ يُنسب له كتبًا لتأريخ هذه الحقبة الزمنية.

وكاليستينيس هو مؤرخ يوناني قديم، وهو ابن «هيرو» ابن شقيقة أرسطو الفيلسوف المعروف، وكان كاليستينيس مؤرخًا بارعًا تميز بمعرفة دقيقة بالتاريخ ووصفه الدقيق، لذلك الْتحق بحملة الإسكندر مع جملة الوجهاء والمفكرين الذين الْتحقوا بالحملة.

١ - كون قصة القرآن قد ذكرها بعض المؤرخين عن الإسكندر يقول المؤرخ كاليستينيس، وهو معاصر للإسكندر: «إن الشمس عندما تغرب في البحر المنتن فإنها تدخل إلى السماء وتسجد خضوعًا لله. يرحل الإسكندر إلى البحر المنتن في نهاية الأرض».

وجاء أيضا في كتاب كالستنثس: «إن الشيوخ والحكماء أخبروا الإسكندر ذا القرنين أنه في نهاية الأرض هنالك بحرًا تشرق الشمس من عبره شرقًا وتغرب الشمس فيه غربًا من خلال نافذة السماء، وتوصف مياه هذا البحر كبيئة طينية منتنة وشديدة الحرارة عند شروق الشمس وغروبها فيه، فعندما سمع الإسكندر قول رهط الحكماء والشيوخ بوصفهم

لهذا النظام الكوني العظيم، ذهب الإسكندر ذو القرنين بعساكره وجيوشه إلى مشرق الشمس، وشاهد الإسكندر الشمس من فوق البحر المنتن تغرب غربًا وتشرق من عبره شرقًا من خلال نافذة السماء، ووجد الإسكندر عند البحر المنتن قومًا من الناس لا يملكون من دون الشمس ساترًا يسترهم من حرِّها ولهيبها حين تمر من فوق بحر العين الشديد الحرارة من قوة وهجها.. فإنهم حين شروقها من فوق بحر العين المنتن يهربون للغوص في البحر؛ تخفيفًا لوهج حرِّها ولهيب حرقها لئلا يحترقوا من مسِّ شعاعها، وهي تمر من فوقهم متوسطةً أفق السماء متجهةً نجو جوف نافذة السماء (يقصدون فتحة عين المنفذ) وتمر الشمس من بين جبال رهيبة مهيبة، والناس الذين يعيشون هناك لديهم كهوف منقورة ومنحوتة في الصخر، وحينما يرون الشمس تمر من فوق رؤوسهم يدخلون فيها وحتى الطيور تدخل في الكهوف من شدة حرارة وهج الشمس، وعندما تدخل الشمس نافذة السماء (فتحة العين الحمئة) تخرُّ لله ساجدة، ويظهر عليها الخضوع أمام الله خالقها في هبوطها، ثم تجري وتهبط طوال الليل من خلال السماوات حتى ترجع إلى أن تشرق على المكان نفسه، فرحل الإسكندر، وركبت معه كل جيوشه خيلهم، وذهب الإسكندر وجنده إلى ما بين البحر المنتن والبحر اللامع إلى أن دخلت الشمس في جوف نافذة السماء،

وذلك أن الشمس خادمة للرب، فلا تنقطع عن الجريان لا في ليل ولا نهار».

المصدر: «سيرة الإسكندر» لكاليستينيس (ص١٤٨- (Pseudo - Callisthenes).

وعن سدّ الإسكندر وكيفية بنائه نجد في الصفحة ١٥٠ ما يلي: مترجمًا إلى اللغة الإنكليزية.

قال المؤرخ كاليستينيس: «قال لهم الإسكندر: إلى أي مدى يمتد هذا الجبل؟ فأجابوه هذا الجبل يمتد دون انقطاع، ويمر من بحر (Beth - Katraye) ويمضي من بلاد فارس إلى القرب من الهند، قال الإسكندر: هذا الجبل هو الأعلى والأكثر ترويعًا من كل الجبال التي رأيتها، رجل مسنٌّ من السكان الأصليين قال للملك: نعم جلالتك، سيدي الملك، لا نحن ولا آباؤنا استطعنا السير عليه ولو خطوة واحدة، فلا يستطيع الرجل أن يصعد لا من هذا الجانب ولا من الجانب الآخر؛ لأنه هو الحد الفاصل بيننا وبين الأمم التي وراءه، قال الإسكندر: مَن هم الأمم الذين خلف هذا الجبل؟ قال السكان الأصليون: إنهم الهون، فقال لهم: من هم ملوكهم؟ فأجاب الرجل المسن: (جوج وماجوج، وناوال ملوك

أبناء (Japhet).

١٥٣ عندما سمع الإسكندر كلام الرجل العجوز، تعجب كثيرًا من هذا البحر الكبير الذي يحيط بالكون، وقال الإسكندر لجنوده: ما رأيكم أن نعمل شيئًا عظيمًا لهذه الأرض؟ فأجابوه: سنفعل كل ما تأمر به جلالتك، فقال الملك: دعونا نعمل بوابة من النحاس الأصفر على هذا الثغر، فقال جنوده: سنفعل كل ما تأمرنا به جلالتك، فجلب الإسكندر ٣٠٠٠ حداد من العاملين في الحديد، و٣٠٠ من العاملين في النحاس، فوضعوا الحديد والنحاس بالأسفل، ووضعوا عليه الطين، فبنوا بوابة طولها ١٢ ذراعًا وعرضها ٥٨ ذراعًا.

The History of Alexander the Great; Being the Syriac Version of the Pseudo - callisthenes

« لقد استأذن المعبود الأسمى، وقد سمع لصلواتي. وأمر المعبود الأسمى الجبلين، فتحركا واقتربا من بعضهما إلى مسافة ١٢ ايلا، وهنا بنيت.. بوابتين نحاسيتين بعرض ١٢ ايلا وارتفاع ٦٠ ايلا طليتهما من داخل ومن خارج.. حتى لا يمكن لا للنار ولا للحديد ولا لأي وسيلة أن يفكوا تماسك النحاس؛ وذلك أن النار أطفئت بملامسته وحطم الحديد. وضمن المعبر (الشِّعب أو ما بين الجبلين) بنيت بناءً آخر من الحجارة، كل منها [الحجارة] كان عرضه ١١ ايلا وارتفاعه ٢٠

ايلا وسمكه ٦٠ ايلا. وإكمالي هذا الجزء أتممت البناية بوضع مزيج من القصدير والرصاص فوق الحجارة، وأكساء... فوق الكل؛ حتى لا يستطيع أحد أن يؤذي البوابتين. وقد دعوت البوابتين ببوابتي قزوين. وقد حجزت بواسطتهما اثنين وعشرين ملكًا».

(ص ١٧٧ - ١٧٨ من سيرة الإسكندر - Pseudo Callisthenes)

في النسخة السريانية لسيرة الإسكندر ذي القرنين المأخوذة عن كاليستينيس: نجد رسالة من الإسكندر إلى أمه، يقول فيها:

« لقد استأذن المعبود الأسمى، وقد سمع لصلواتي، وأمر المعبود الأسمى الجبلين، فتحركا واقتربا من بعضهما إلى مسافة ١٢ ايلا، وهنا بنيت... بوابتين نحاسيتين بعرض ١٢ ايلا وارتفاع ٦٠ ايلا، طليتهما من داخل ومن خارج... حتى لا يمكن لا للنار ولا للحديد ولا لأي وسيلة أن يفكوا تماسك النحاس، وذلك أن النار أطفئت بملامسته وحطم الحديد. وضمن المعبر (الشِّعْب أو ما بين الجبلين) بنيت بناءً آخر من الحجارة، كل منها [الحجارة] كان عرضه ١١ ايلا، وارتفاعه ٢٠

ايلا، وسمكه ٦٠ ايلا. وإكمالي هذا الجزء أتممت البناية بوضع مزيج من القصدير والرصاص فوق الحجارة، وأكساء... فوق الكل، حتى لا يستطيع أحد أن يؤذي البوابتين. وقد دعوت البوابتين ببوابتي قزوين. وقد حجزت بواسطتهما اثنين وعشرين ملكًا».

وقد قام القديس «يعقوب السروجي» المتوفى ٥٢١ قبل الميلاد بترجمة كتاب كالستنثس على هيئة منظومة شعرية بلغت ٧٣٠ بيتًا.

لكن أثار بعض المستشرقين مثل المستشرق الألماني الشهير «تيودور نولدكه» صاحب كتاب «تاريخ القرآن» تساؤلاتٍ حول كتاب كالستنثس ومدى تطابقه مع قصة ذي القرنين القرآن، وادعى إمكانية اقتباس القرآن القصة من الكتاب، إذ هو سابق له تاريخيًا. لكن هذا الادعاء لا يثبت أمام النقد العلمي الموجه لهذا الكتاب.

النقد الموجه لكتاب كاليستينيس:

يقول المحققون في كتاب **كاليستينيس:** إن أقدم مخطوطة للكتاب كتبت بين القرنين السابع والتاسع الميلادي، وهذا يعني أنها بعد بعثة النبي ﷺ بقرنٍ من الزمان على الأقل.

كما أنها كُتِبت بيد مسيحي عربي نقلها من الأصل اليوناني المفقود.

يقول المُحقق والمترجم ويلياز متسائلًا: «متى وُضعت الترجمة السريانية؟! لا يمكنني التحديد، لكن يمكن تعيين تلك الفترة بين القرن السابع والتاسع؛ إذًا تاريخ كتابة تلك الأسطورة السريانية يقع بين القرنين السابع والتاسع، لكن الكاتب لا يُمكنه تحديد ذلك.

ويوضح الكاتب أن هذه الترجمة السريانية ليست عن الأصل اليوناني، وإنما عن ترجمة عربية لهذا الأصل ومترجمها مسيحي عربي لغته الأصلية هي العربية وليست السريانية، فهو قضى على هذه الشبهة التي قد يتمسك بها المشككون في الإسلام؛ لأن أقدم مخطوطة للكتاب كُتبت في العصر الإسلامي، كما وضحنا.

اي القرن الاول و الثاني الهجري

THE LATIN TRANSLATIONS OF PSEUDO-CALLISTHENES BY JULIUS VALERIUS AND LEO THE ARCHPRESBYTER.

The history of Pseudo-Callisthenes has been translated into Latin by Julius Valerius[1] and Leo the Archpresbyter[2]. Julius Valerius is supposed to have lived about the third or fourth century A.D.[3] His work was one of the sources of the *Itinerarium Alexandri*[4], a work of unknown authorship, which was composed about 340—345 A.D., and it was through this version that the peoples of the north-west and west of Europe became acquainted with the fabulous history of Alexander. The oldest manuscript of the work is preserved at Turin, and was written about the end of the seventh or the beginning of the eighth century[5]. The Aesop mentioned in the titles of the work is generally thought to be the author of

اقدم مخطوطة لهذا العمل محفوظة في ترويno

كتبت في نهاية القرن السابع او بداية القرن الثامن الميلادي

at all.

When the Syriac translation was made I am unable to say; but I believe that we may assign it to some period between the seventh and the ninth centuries. Professor Wright thought that Syriac was not the native language of the translator, and believed that he had only acquired it in the schools for the purpose of studying the Bible and the Syriac translations of Greek theological works; he believed that the Syriac version of Pseudo-Callisthenes was made from an Arabic translation of a Greek original, and placed the making of the work much later than I have done, namely in the tenth century[6]. Zacher

يقول ايضا : متى صنعت الترجمة السريانية. انا غير قادر على ان اقول لكن اعتقد

انها كتبت في الفترة بين القرن السابع او التاسع الميلادي !!!

البرفسور رايت يعتقد ان السريانية لم تكن لغة الكاتب وهو يعتقد انه تعلمها

Syriac forms of proper names will add considerably to the few examples given above of the confusion between the Arabic letters on the part of the Syrian scribe.

To sum up, then, the Syriac version seems to have been made from an Arabic translation of a Greek original by a Christian priest, whose native language was Arabic, some time between the seventh and the ninth centuries.

M. Jules Mohl believed[1] that Firdausi employed an Arabic translation of a Greek history of Alexander to complete the gap which he found in the traditions of his country. It is much to be wished that a manuscript of such an Arabic translation could be found, for there is little doubt that it would

[1] *Livre des Rois*, p. xlviii.

تلخيصاً لما سبق ثم النسخة السريانية مأخوذة من الترجمة العربية ذات الاصول اليونانية عن طريق قس مسيحي لغته الام هي العربية في الفترة بين القرن السابع والقرن التاسع

نتابع الترجمة في نفس الصفحة، إذ يقول: «ويعتقد البروفيسور «رايت» أن المترجم إلى السريانية لم يكن يتكلم اللغة السريانية الأم، وإنما تعلمها في المدارس؛ لغرض دراسة الإنجيل، ولترجمة الآثار الدينية اليونانية إلى السريانية، ويعتقد أن (سودو كاليستينيس) نقلت من ترجمة عربية للأصل اليوناني، ويرى «ذاكر» أن تاريخ الترجمة كان في القرن الخامس، وهناك ترجمة سريانية ربما ظهرت في القرن السادس في الوقت الذي ترجمت فيه «كليلة ودمنة» إلى السريانية، ولا نملك الأدلة الكافية لتحديد وقت تلك الترجمة السريانية لـ(سودو كاليستينيس)، وأعتقد أن تحديد وقت الترجمة سواء المبكرة (السابع) أو المتأخرة (التاسع) لا يفيد؛ لأن المهم هو الحفاظ على تراث الإسكندر وقصته». أهـ.

ولو ثبت وجود كتاب كالستنتس لم يكن ثمة إشكالٍ في تطابقها مع القرآن الكريم.

أولًا: لتطابق القصة مع ما قاله مؤرخ قديم معاصر للإسكندر المقدوني، فهذا دليل على أن القصة لها أصل! حتى ولو رأى البعض أنها أساطير، فلا نُسلِّم بذلك، فما حدث لذي القرنين من بناء سد على مجموعة من البشر أكثر منطقية من قصص أكثر غرابة في التوراة والإنجيل، مثل إحياء النبي عُزَيْر جيشًا كاملًا بعد موته!! ومن شقِّ سيدنا موسى السلام البحر، ونحن نؤمن بما ثبت من ذلك، ولا إشكال.

ثانيًا: أن النبي ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، قال تعالى: {وما كنت تتلو عليهم من كتابٍ ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون}، يعني ما كنت تقرأ ولا تكتب يا محمد قبل نزول القرآن، وإلا لارتابوا وشكوا أنك قرأته في كتب الأولين!

نقول: إن كان الأمر كذلك، فكيف يصل النبي إلى كتبٍ تاريخية دقيقة جدًا ومتميزة، بل ومجهولة حتى لذوي التخصص والمطالعة؟ بل إن شئت فقل إن هذا إعجازًا قرآنيًا، ولا يدعو أبدًا للارتياب والشك.

أما ما يدندن حوله البعض أن «ورقة بن نوفل» هو الذي كان يملي على النبي هذه القصص لمطالعته على كتب أهل الكتاب، فهذا قولٌ ليس من النقد العلمي في شيء؛ لأن ورقة بن نوفل توفي بعد نزول الوحي بفترة يسيرة جدًا، وقبل بعثته - ﷺ - إلى قومه.

ثالثًا: لو كان هناك أناس متعلمون هم الذين أملوا على النبي هذا - كما يُدندن بعض الطاعنين - لكانوا شركاء معه في الدعوة، ولمارسوا عليه ضغوطًا لنيل المناصب الدنيوية، ومن المحال أن يساعدوه دون مقابل.

ولم يُعرف أن أحدًا كان مقربًا للنبي غير الصحابة المعروفين أمثال: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأبي عبيدة... ونحوهم، وهؤلاء كانوا أعرابًا لا يعلمون شيئًا عن أهل الكتاب.

رابعًا: أن هناك من علماء المسيحيين الأوائل من أثبت قصة الإسكندر كما أشرنا سابقًا، فيقول القديس جيريوم في رسالته السابعة والسبعين: «مخيمات الهون [شعب همجي مترحّل] قد تسرّبت وقطعت الطريق من مايوتيس [اسم قديم لبحر آزوف شمال البحر الأسود] (وكانت ديارهم بين

تانايس المثلجة والماساجيتيين الهمج في المكان الذي تصد فيه بوابات الإسكندر الشعوب الوحشية فيما وراء القوقاز)».
أهـ

خامسًا: من المعلوم أن أكثر من ملك قد لُقِّب بذي القرنين، فما المانع أن تكون قصة بناء السد على يأجوج ومأجوج قد أقحمت في قصة الإسكندر المقدوني، كما أقحمت قصة الطوفان في ملحمة جلجاميش، حيث توصّل الباحث الإنكليزي جورج سميث أنه قد توصل لحل رموز أحد ألواح مكتبة الملك الآشوري «آشور بانيبال» في نينوى الذي حكم في القرن السابع قبل الميلاد، وأن هذا اللوح يحتوي على نص للطوفان، وتم اكتشاف بعد ذلك الألواح الاثني عشر التي تُشكل ملحمة جلجامش، التي تأخذ قصة الطوفان اللوح الحادي عشر منها. وقد أقحم الطوفان الكبير في سياق الملحمة.. (انظر القصة كاملة في كتاب «مغامرة العقل الأولى- دراسة الأسطورة - سوريا - أرض الرافدين» تأليف فراس سواح صـ٢١٢ - ٢١٢)

فكما ترى أن القصص القديمة المشتهرة يتم إقحامها للملوك والرموز، فليس بمستبعد أبدًا أن يتم إقحام قصة ذي القرنين على الإسكندر الأكبر. هذا إن ثبت أنه ليس ذا القرنين.

• **أدلة أخرى...**

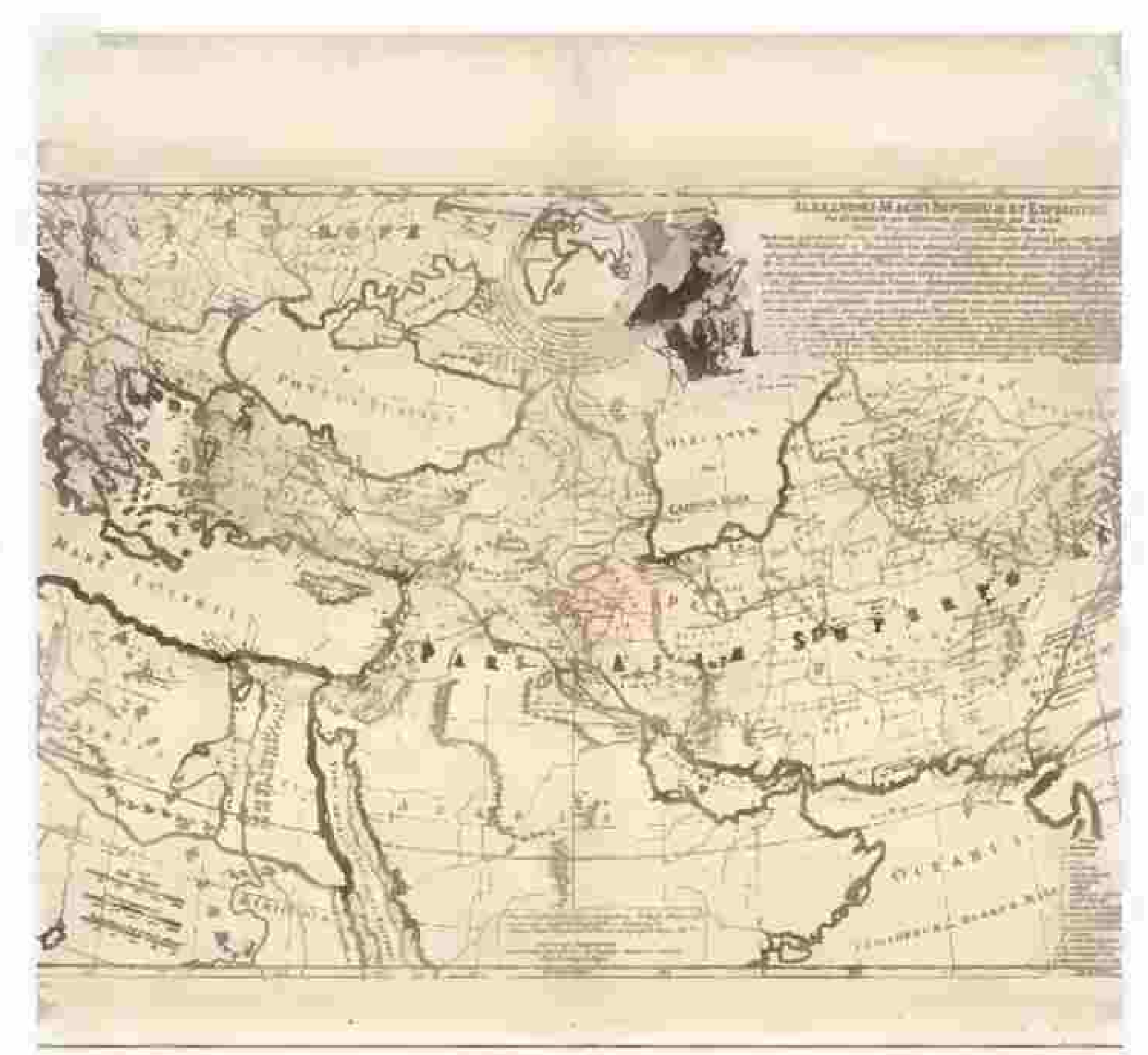
جدير بالذكر أنه يوجد مخطوطة بعنوان «رسالة الإسكندر ذي القرنين» ورد في أولها: «.... قال ذو القرنين: سألت معلمي أرسطاطاليس عن الصنعة الإلهية... إلخ). «مخطوطات المجمع العلمي العراقي» لميخائيل عواد (ج٣ صـ ١٥٩).

وقد ذكر حاجي خليفة أن هناك كتاب «سيرة إسكندر» في عدة مجلدات منثورة، ومنظومة، وكذلك «الأجوبة لأسئلة إسكندر» في عدة مجلدات، وقد عنى به العلامة المحقق السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هجرية. «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة، مكتبة المثنى بغداد انظر (ج٢، صـ١٣٢٧، ١٠١٥).

ما جاء في مكتبة الكونجرس الأمريكي من خرائط توضيحية:

• **الخريطة الأولى:**

إمبراطورية الإسكندر الأكبر وحملاته في أوروبا وإفريقيا وفي آسيا تحديدًا.



تُظهر هذه الخريطة، التي نُشرت في باريس عام ١٧١٢، بعثات الإسكندر الأكبر الاستكشافية وإمبراطوريته (٣٥٦ - ٣٢٣ قبل الميلاد) في أوروبا وإفريقيا وآسيا. تُظهر الخريطة الداخلية الدائرية الصغيرة بالجزء العلوي القارات الثلاثة. تُشير الملاحظات المُرقَّمة في الجزء الأيمن السفلي إلى حملة الإسكندر على ضفاف نهر هايفاسيس (المعروف الآن باسم نهر بياس) في شمال الهند، التي تظهر في أقصى يمين الخريطة. تُلخِّص الملاحظة الطويلة المكتوبة باللغة اللاتينية بالزاوية العلوية اليمنى نجاحات الإسكندر وفتوحاته، التي وُضِّحت بإشارات إلى مصادر من الكتاب المقدس، وبالتحديد

نبوءات سِفر دانيال، وأنتيكيتاتس جودايكا «الآثار اليهودية» لمؤرخ القرن الأول فلافيوس جوزيفوس. وُضِّحَت الحدود بالحبر الملون، وتظهر ثلاثة مقاييس وهي: مقياس الـ١٠٠٠ خطوة (يُعرف أيضًا بالأميال الرومانية)، والاستاديا اليونانية (يبلغ طول الاستاديون الواحد نحو ١٨٥ - ٢٢٥ مترًا)، والبرسنغات الفارسية (مقياس للطول يُحدد بشكل متفاوت فيما بين ٣.٩ و٥.٣ كيلومترًا). رسم الخريطة بيير مولارت - سانسون (توفي في ١٧٣٠)، وهو أحد أفراد عائلة رسامي الخرائط البارزين المنحدرين من نيكولا سانسون (١٦٠٠ - ١٦٦٧).

الثانية:

حملات الإسكندر: وضَعها السيد رولين لكِتاب «إستوار أنسِيَن»



تُظهر هذه الخريطة حملات الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣ ق. م) من الهيليسبونت، وهو المضيق (الذي سُميّ لاحقًا بالدردنيل) الذي يفصل أوروبا عن آسيا في تركيا الحالية، وحتى تركيا والشرق الأدنى ومصر وبلاد الرافدين (العراق الحالية) وبلاد فارس (إيران) وأفغانستان. وصل الإسكندر إلى حد ضفاف نهر هايفاسيس (المعروف الآن باسم نهر بياس) في شمال الهند، حيث تمرّدث عليه في نهاية المطاف جيوشُه المنهَكة. تظهر بالخريطة كذلك المدنُ التي أنشأها الإسكندر، وأطلق عليها اسم «الإسكندرية» على شرفه. هناك مقياسان للمسافات، هما الاستاديا القديمة والفراسخ

المعاصرة. رسم الخريطة رسام الخرائط الفرنسي الجغرافي جان - بابتيست بورغينيون دانفيل (١٦٩٧ - ١٧٨٢) ووُضِعث، كما هو مُوضح بالعنوان، لشرح كتاب إستوار أنسيَن «التاريخ القديم» لِتشارلز رولين (١٦٦١ - ١٧٤١). كان دانفيل واحدًا من أهم واضعي الخرائط في القرن الثامن عشر، وقد عُرِف بدقة خرائطه وجودتها العلمية. وكان رولين أستاذًا في الخطابة، ومسؤولًا جامعيًا كتب أبرز أعماله خلال التقاعد، بما في ذلك «إستوار أنسيَن»، وهو مؤلَّف تاريخي من ١٢ مجلدًا ظهَر فيما بين ١٧٣٠ و١٧٣٨.

اعترض بعض أهل العلم على أن يكون الإسكندر هو ذو القرنين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كان أرسطو قبل المسيح بن مريم عليه السلام بنحو ثلاثمائة سنة، كان وزيرًا للإسكندر بن فيلبس المقدوني الذي غلب على الفرس، وهو الذي يؤرخ له اليوم بالتاريخ الرومي تؤرخ له اليهود والنصارى، وليس هذا الإسكندر ذا القرنين المذكور في القرآن كما يظن ذلك طائفة من الناس، فإن ذلك كان متقدمًا على هذا، وذلك المتقدم هو الذي بنى سد يأجوج ومأجوج، وهذا المقدوني لم يصل إلى السدّ، وذاك كان مسلمًا موحدًا، وهذا المقدوني كان مشركًا هو وأهل بلده اليونان كانوا مشركين

يعبدون الكواكب والأوثان». انتهى «منهاج السنة النبوية» (١/ ٢٢٠)، وينظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٧١ - ١٧٢).

وقال ابن كثير رحمه الله: ذكر الأزرقي وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل، وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليه السلام.

أما المقدوني اليوناني المصري باني إسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم، فكان متأخرًا عن الأول بدهر طويل، كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة، وكان أرسطاطاليس الفيلسوف وزيره وهو الذي قتل دارا بن دارا، وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم.

وإنما نبهنا عليه؛ لأن كثيرًا من الناس يعتقد أنهما واحد، وأن المذكور في القرآن هو الذي كان أرسطاطاليس وزيره، فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير، فإن الأول كان عبدًا مؤمنًا صالحًا وملكًا عادلًا، وأما الثاني فكان مشركًا، وكان وزيره فيلسوفًا، وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة. فأين هذا من هذا؟ لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبي لا يعرف حقائق الأمور». انتهى باختصار وتصرف

من «البداية والنهاية» (٢ /١٢٢ - ٢٢٥).

إذن من عارض كون الإسكندر هو ذو القرنين إنما اعتمد على كون أرسطو أستاذه، وأرسطو كان مشركًا، ولم يكن مؤمنًا، لكن قد نبيّن هنا أن فكرة أن أرسطو أستاذه أو رافقه مدة من الزمن، لا تعني بالضرورة أن الإسكندر قد بقي على شركه، فقد يكون قد آمن بعد ذلك، وترك ما كان عليه من الشرك بالله، لاسيما وأن بعض المؤرخين ذكر أن الإسكندر قد زار اليهود في فلسطين، فلعله آمن، وليس ذلك بمستبعَد، والله أعلم.

الإسكندر عند أهل الكتاب

يذكر المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس من القرن الأول للميلاد بناء الإسكندر بوابات في جبال القوقاز؛ لصدّ البرابرة الذين يُعرفون بجوج وماجوج، حيث يقول عنهم: «أمة من اللان والذين سبق وأسميناهم سكيثيين (أو أسكوذيين)، كانوا يترحلون معبرًا كان الإسكندر قد سدّه ببوابات حديدية». أهـ.

ويسجّل يوسيفوس أيضًا أن شعب ماجوج، الماجوجيين، هم أنفسهم السكيثيين.

قال القديس جيروم ٣٤٧م، في رسالته السابعة والسبعين: «مخيمات الهون [شعب مترحّل] قد تسرّبت وقطعت الطريق من مايوتيس [اسم قديم لبحر آزوف شمال البحر الأسود]، (وكانت ديارهم بين تانايس المثلجة والماساجيتيين الهمج في المكان الذي تصد فيه بوابات الإسكندر الشعوب الوحشية فيما وراء القوقاز)».

فالعجيب أن بعض المستشرقين يعتبرونها من الأساطير

الإسلامية، مع كونها موجودة في أدبيات أهل الكتاب دون نكير.

جاء في شرح القديس جيروم على سفر حزقيال (إصحاح ٣٨ عدد ٢) يعرف القديس جيروم الأمم القاطنة في ما وراء القوقاز وقرب بحيرة مايوتيس [بحر آزوف] بأنهم جوج وماجوج». أهـ.

ويصف يوحنا اللاهوتي خروج أقوام جوج وماجوج في آخر الزمان بإيعاذ من الشيطان، وأن عددهم كعدد رمل البحر، فيقول ما نصه: «ومتى تمت الألف السنة يحل الشيطان من حبسه، ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوج وماجوج!! ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر» «سفر الرؤيا» (٧:٢٠).

القصة في مخطوطات أبوكريفا

لقد كانت مخطوطات أبوكريفا لأناجيل العهد الجديد أكثر صراحةً، فقد ذكرت الإسكندر الأكبر بالاسم:

ففي النسخة السريانية من القصة المسيحيّة جاء فيها:

«يحجز الإسكندر الأكبر حشود جوج وماجوج خلف بوابة عظيمة بين جبلين، مانعًا إياهم من غزو الأرض». بالإضافة إلى ذلك فقد كُتِب في الأسطورة المسيحية أنه في آخر الزمان سيسبب الله تدمير بوابة (سد) جوج وماجوج، مما يسمح لحشودهم بتدمير الأرض.

قال الرب على لسان الملاك: «بوابة الشمال سوف تُفتح في يوم نهاية العالم، وفي ذلك اليوم سوف يأتي الشر على الخبيث، ستتزلزل الأرض وسيفتح هذا الباب الذي [يا إسكندر] قد بنيته.. وسيحل غضب ونقمة عظيمة على بني البشر والأرض.. سوف تصبح خرابًا والأمم المحجوزة خلف البوابة سوف تنهض، وجيوش جوج وشعب ماجوج سوف تجتمع معًا. هذه الشعوب التي هي أشد الناس ضراوة». أهـ.

قبر الإسكندر الأكبر

من الأمور المثيرة والحقيقية في آنٍ واحد أنه كان هناك ضريح للإسكندر المقدوني في الإسكندرية، يُعرف باسم ضريح ذي القرنين، ولكن هذا الضريح لا وجود له الآن.

ثمة تساؤلاتٍ عجيبة تجاه هذا القبر المجهول، وترى لماذا

أسموه بضريح ذي القرنين؟!

يقول ابن عبد الحكم في «فتوح مصر»، وهو يعدد مساجد الإسكندرية: «مساجد بالإسكندرية: مسجد موسى النبي عند المنارة أقربها إلى الكنيسة، ومسجد سليمان عليه السلام، ومسجد ذي القرنين أو الخضر عليهما السلام، وهو الذي عند اللبخات بالقيسارية، مسجد الخضر أو ذي القرنين عند باب المدينة حين تخرج من الباب، ولكل واحد منهما مسجد، ولكن لا ندري أين هو، ومسجد عمرو بن العاص الكبير». «فتوح مصر وأخبارها» (صـ٤١، مطبعة بريل).

من النص السابق يتضح أن المسلمين الأوائل قد خلطوا بين ذي القرنين المذكور في القرآن، وبين الإسكندر الأكبر، بدليل قول ابن عبد الحكم: «عليه السلام» بعد ذكر ذي القرنين الذي هو بالإسكندرية!

ولكن ثمة سؤال يطرح نفسه: هل كان قبر الإسكندر باقيًا ومعروفًا حتى الفتح العربي؟ إن أقدم شهادة وصلت إلينا من شهود العيان الذين شاهدوا مقبرة الإسكندر الأكبر هو سترابو الذي زار مصر في الفترة ما بين سنة ٢٥ إلى ١٩ قبل الميلاد، فقد ذكر أن جسد الإسكندر (السوما) في الإسكندرية في

المكان الذي ما زال موجودًا فيه حتى الآن، وأن التابوت الحالي مصنوع من الزجاج، وهو بديل عن التابوت الذهبي الذي وُضِع فيه الجثمان في البداية.

(سهير هانم سليم غالي باخوم - طبوغرافبة الإسكندرية في العصر الروماني، رسالة ماجيستير بآداب الإسكندرية سنة ١٩٧٣ برقم ١٧٣٦ - ١٧٣٨، صـ ٣٤١).

كما أن هناك مصادر قديمة متعددة تشير إلى زيارة بعض أباطرة الرومان لقبر الإسكندر، فقد زاره «أغسطس» أول الأباطرة عام ٣٠ - ١٤ ق.م، حيث وضع إكليلًا من الذهب، ونثر عليه الزهور.

وكذلك كاركالا (٢١١ - ٢١٧ ق.م)، حيث خلع رداءه، وجميع ما كان يتزين به من حُلي، ووضعها على جثمان الإسكندر.

ويحكى أن الإمبراطور سبتيموس سفيروس (١٩٣ - ٢١١ م)، قد جمع الكتب الثمينة التي بقيت بعد حريق مكتبة الإسكندرية، ووضعها على قبر الإسكندر؛ حتى لا تكون في متناول اليد، وليمنع علماء روما من الحضور إلى الإسكندرية والاطلاع عليها.

وآخر شهادة تصل إلينا من شهود العيان هي شهادة إخيليوس تايتوس من القرن الثالث الميلادي، وهو يوناني من مواليد الإسكندرية، حيث يذكر السيما، وهو اسم مقبرة الإسكندر، فيذكر أنها عند تقاطع طريق كانوب الممتد من شرق المدينة إلى غربها مع الطريق سيما الممتد من شمال المدينة إلى جنوبها.

شهود عيان في العصر الإسلامي:

يذكر المسعودي قبر الإسكندر، حيث يصفه بأنه «في تابوت من المرمر»، ثم يقول ما نصه: «وهذا الموضع من الرخام والمرمر باقٍ ببلاد الإسكندرية من أرض مصر يُعرف بقبر الإسكندر إلى هذا الوقت، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة). أهـ «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، للمسعودي تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة/ الجزء الأول صـ ٢٩٢.

وفي القرن السادس عشر زار الحسن الوزان (ليون الإفريقي) الإسكندرية وطاف بأرجائها، فيقول: «ولا يجوز أن نغفل ذكر مكان في قلب المدينة في وسط الأطلال، فيه بيت صغير منخفض، كأنه نوع من مسجد يقع فيه ضريح مبجَّل

جدًا ومكرَّم عند المسلمين، حيث توقد الأنوار فيه ليلًا ونهارًا، ويُقال إن هذا هو قبر الإسكندر الأكبر، الذي كان نبيًا وملِكًا كما ورد في القرآن الذي نزل على محمد ﷺ، ويأتي الكثير من الغُربان من أقطارٍ بعيدة لرؤية هذا الضريح، وللقيام ببعض التضرعات، ويتركون عنده صدقات عظيمة جدًا». «وصف إفريقيا»، الحسن الوزان، ترجمة عبد الرحمن حميدة، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود صـ ٥٧٣.

ويذكر علي باشا مبارك أن (مرمول) زار الإسكندرية سنة ١٥٤٦م، وأنه شاهد قبر الإسكندر في وسط المدينة، قريبًا من كنيسة سان مارك. «الخطط التوفيقية الجديدة لمصر ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة»، الجزء السابع، الهيئة المصرية العامة للكتاب صـ ١١٢.

الرأي القائل بأنه الملك كورش الفارسي

كورش الكبير (٥٥٨ - ٥٢٨ق.م). هو أحد ملوك الإمبراطورية الفارسية الأولى الاخمينية، ومدمر المملكة البابلية الكلدانية والليدية. سمح بعودة سبي بني إسرائيل الى فلسطين ثانيةً بعد أن ظلوا سبعين عامًا تحت السبي البابلي.



يظهر في الصورة نحت لكورش الكبير وفوق رأسه قرنان

طويلان

ولقد اختاره مايكل هارت كأحد العظماء في كتابه «العظماء مائة وأعظمهم محمد».

ويبرر مايكل هارت اختياره لكورش من ضمن العظماء المائة بقوله: «وعظمة كورش لا ترجع فقط إلى معاركه الضخمة، ولا إلى توحيد هذه الدول المتنافرة. إنما ترجع أهميته إلى أن إنجازاته كانت نقطة تحول في التاريخ السياسي للعالم القديم، ولذلك فهو واحد من الذين غيَّروا مجرى التاريخ). أهـ.

ويقول «ول ديورانت»: «كان كورش من الحُكّام الذين خُلقوا ليكونوا حُكّامًا، والذين يقول فيهم (إمرسن): كان الناس يَبتَهجون عندما يَرَون هؤلاء يُتوَّجون.

فلقد كان مَلِكًا بحقٍّ في رُوحه وأعماله، قديرًا في الأعمال الإداريّة والفُتوح الخاطِفة المُحيّرة، كريمًا في معاملة المَغلوبينَ، محبوبًا لدى أعدائه السابقين، فلا عجب والحالة هذه أنْ يتّخذ اليونان منه موضوعًا لعدة روايات بُطوليّة، وأنْ يَصفوه بأنّه أكبر أبطال العالم». أهـ.

«قصة الحضارة»، (ج ٢، صـ٤٠٣).

لقد كان كورش الكبير مثالًا للملك العادل الصالح، الذي أثنى الله عليه في التوراة، ومما يدل على إيمان كورش ما ورد في عدد من الأسفار.

وورد في سفر دانيال نبوءة رمز إلى ملوك فارس وميديا (شمال إيران) فيه بالكبش ذي القرنين (الإصحاح التاسع العدد ٢٠): «أن الكبش الذي رأيته ذا قرنين هو ملوك ماداي وفارس».

وورد في (سفر أشعياء الإصحاح ٤٤ العدد ٢٥ - ٢٨): «وأقول بأن كورش، إنه خير راعٍ اصطفيته، وإنه يحقق إرادتي، ويجدد بناء أورشليم، ويعمّر بيتي من أساس».

ورد أيضًا في (سفر أشعياء الإصحاح الخامس والأربعون العدد ١ - ٦) يصف السفر قورش بمسيح الله، وأنه سيفتح أمامه المصاريع ولا تغلق أمامه الأبواب، وأنه سيحطم له مصاريع النحاس، ويكسر له مغاليق الحديد، ويعطيه كنوز الظلمة».

وجاء في (سفر عزرا ١:٢): «وفي السنة الأولى لكورش ملك فارس عند تمام كلام الرب بفم إرميا، نبه الرب روح كورش ملك فارس، فأطلق نداءً في كل مملكته وبالكتابة أيضًا قائلًا: هكذا قال كورش ملك فارس: جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب إله السماء، وهو أوصاني أن أبني له بيتًا في أورشليم التي في يهوذا). أهـ.

كما يوجد شارع في «إسرائيل» يسمى شارع كورش (רחוב כורש)؛ نظرًا لاعتباره قائدًا ذا أهمية عند اليهود؛ لكونه أسهم في إنقاذ اليهود من السبي البابلي، بحسب أعتق أدهم.

إذن يُعتبر كورش في العهد القديم «التوراة» ملكًا مؤمنًا بالله عز وجل. ويذكره بخير ويثني عليه، فليس بمستبعد أبدًا أن يكون ذا القرنين.

ويرى العلامة أبو الكلام آزاد الهندي - بعد دراسة طويلة - أن كورش هو ذو القرنين، واستبعد أن يكون الإسكندر؛ لأنه كان مشركًا، كما استبعد أن يكون هو الملك العربي؛ وذلك لأن اليهود الذين سألوا النبي ﷺ، سألوه من شيء من تراثهم هم، وليس التراث العربي.

يقول الدكتور محمد هادي معرفة، في كتابه «شبهات وردود حول القرآن الكريم»: «المُمعِن في سيرة كورش بدقّة يَجده على الوصف الذي جاء في القرآن الكريم: كان مُؤمنًا معتقدًا بالله العظيم، وأنْ لا حول ولا قوة إلا به، وأنه تعالى هو الذي رعاه وألهمه الخير، وهداه إلى سبيل الرشاد، في إصلاح البلاد والعناية بشؤون العباد، الأمر الذي يبدو بوضوح من سيرته الحكيمة مع مختلف شعوب الأرض.

يقول الدكتور خضر: ويَميل كثير من المؤرّخينَ إلى اعتبار أنّ كورش كان مَلِكًا يَتّصف بالعقل والحزم والعزم والرأفة في آن واحد، وأنه كان يمضي إلى آخر المَطاف في أي عمل يبدؤه، ولا يترك أي عمل دون إتمام. وكان يلجأ إلى العقل أكثر من لجوئه إلى القوة.

وكان يعامل الشعوب المَغلوبة معاملة حَسنة تتّصف بالرأفة والشفقة، بخلاف ما كان عليه الحال عند المُلوك الآشوريّين والبابليّين، وكان يَعامل المُلوك المَهزومينَ مُعاملة طيّبة جدًا، لدرجة أنهم كانوا يُصبحونَ أصدقاء حميمينَ له، وكانوا يُقدّمون له العَون إذا تطلّب الأمر.

وكان العدل يُرفرف على جميع الشعوب التي خضعت له

من نهر السند حتى بحر إيجه (وهي مسافة تقرُب من طول الولايات المُتّحدة الأمريكيّة من الشرق إلى الغرب).. ومن خليج عدن حتى صحراء بحر قزوين، وكان النظام الذي أرسى الحاكم العظيم كورش دعائمه في هذه الإمبراطورية المُترامية الأطراف عَمَلًا خارقًا يُعدّ من الأعمال الخالدة المجيدة في تأريخ الشرق، بل في تأريخ العالَم كلّه.

حقًّا، لقد كان حاكمًا رحيمًا مُستنيرًا يَدعو إلى الخير، وكان يُلقّب بالمَلِك الأكبر، وظلّ هذا تَقليدًا عامًّا لكل عاهل فارسي.

ويرى العلاّمة أبو الكلام آزاد: أن كورش كان يُطبّق تعاليم الفيلسوف والحكيم المشهور (زرادشت)، والتي تدعو إلى الخير، وتَعتقد بالحياة الأخرى وبقاء الروح، كما يرى أبو الكلام آزاد في تعاليم (زرادشت) أنها مُحور دارت عليه الدعوة إلى طهارة النفس وحُسن العمل، يرى فيها أيضًا تَحريمًا لعبادة الأصنام في أي شكل من الأشكال.

ومن دلائل تَديُّن الحاكم العظيم كورش ما كَشفه الأستاذ (هرتزفلد) (Herzfeld) مِن بقايا معبد قديم، يُعتَقد أن كورش هو الذي بناه في مدينة (باساركاد)، ويقوم هذا المَعبد على مقربة من قصر المَلِك، وقبره في تلك المَنطقة، وهذا المَعبد

يُعبِّر عن مَبلغ أَهميّة هذه الديانة في عهد كورش ومَن بعده، ويراها المُؤرّخون ديانةً قديمةً كانت ذات أهميّة كبيرة عند أهل فارس القديمة، وأنّها دَعت كلّ إنسان وحثّته على اختيار أحد الطريقَين:

إمَّا أن يَملأ قلبَه بالخير والنور، أو يَنغمس في الشرّ والظُّلمة، وعلى كلٍّ فسَيُلاقي جزاءه ويُحاسب على ما آتاه، ويَعتبر المؤرّخون هذه العقيدة أَقدم ديانة ظهرت في آسيا تعتقد بالحساب بعد البعث».

ويتابع الدكتور محمد هادي قائلًا: «قال الدكتور خضر: ولعلّنا نجد في قول ذي القَرنَينِ ما يُشير إلى ذلك: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٨٧].

أي هناك إله، سَيُرَدُّ إليه كلُّ إنسان يوم البعث للحساب، فإن كان ظالمًا في حياته فسوف يعذِّبه الله عذابًا شديدًا». **انتهى.**

من كتاب «شبهات وردود حول القرآن» (صـ ٥١٧ - ٥٢٠).

قلت: وممن ذكر اكتشاف هرتزفلد لهذا المعبد الفريد البروفيسور ريتشارد فري أستاذ الثقافة الإيرانية بجامعة هارفارد، ذكر هذا في كتابه «تاريخ إيران العتيق» (ص ٩٠).

The History of Ancient Iran - Page 90

كورش ويأجوج ومأجوج:

يَذكر المؤرّخ اليوناني الكبير (هيرودتس) أن كورش، بعد إخضاع بابل، توجّه نحو الشمال الغربي؛ لإعادة الأمن على البلاد، وإخضاع القبائل الوَحش (ماساجيت - مأجوج) التي كانت تَشنّ إغارتها على البلاد الآمِنة، يقول: وكان قد تَوجّه لذلك الصَوب بدافع إلهي... أوّلًا: أصالة نزعته الإلهية... وثانيًا: ثقته النفسية اعتمادًا على ما مكّنه الله تعالى من القوّة والسطوة وقدرته الفائقة على إخضاع كل الصعاب **«تأريخ هيرودت» (ص ٩٩).**

أما ما يقوله البعض أن كورش كان يعتنق الزرادشتية، والزرادشتية ديانة مثنوية أي تؤمن بإلهين اثنين! إله الخير وإله الشر، وبالتالي فهو يبعد أن يكون ذا القرنين الموحد

الذي مدحه الله في القرآن.

لكن هذا الكلام يفتقر إلى الدقة العلمية؛ لأن كورش كان معاصرًا - على الصحيح - لزرادشت، وزرادشت نفسه كان موحدًا على ديانة التوحيد، بل العجيب أن بعض علماء المسلمين كالطبري وابن عبد البر، وابن خلدون يرون أن زرادشت تعلم على يد النبي إرميا أحد أنبياء بني إسرائيل، لكن غضب عليه إرميا وطرده، ولعل هذا أحد دلائل توحيده.

كذلك الشهرستاني في «الملل والنحل» يرى أن زرادشت نفسه لم يكن يؤمن بتعدد الآلهة، إنما كان يؤمن بالقوة الواحدة التي تتحكم بالعالم، ولعل فكرة تعدد الآلهة جاءت في العصور المتأخرة عن زرادشت.

وفي هذا يقرر د. مصطفى حلمي أستاذ الفلسفة في كلية دار العلوم بعدما نقل كلام الشهرستاني: «لذلك فإن تمييزه بين عقيدة زرادشت وعقيدة أتباعه لا بد أن تؤخذ في الاعتبار عند النظر في تعليل الاختلاف بين العقيدتين، فنلاحظ أن الشهرستاني ميّز بين زرادشت الذي نص على أن للعالم قوة إلهية هي المدبرة لجميع ما في العالم، وبين الفرق المنتسبة للزرادشتية بعقائدها التفصيلية الخارجة عن هذا

الأصل. ونحن نرى أن هذا التغيير ربما استُحدِث بفعل الأتباع والمريدين، لاسيما المتأخرين منهم عن عصر زرادشت، وهذه هي الآفة الغالبة على معظم أهل الديانات والعقائد والنظريات الفلسفية». أهـ.

«الإسلام والأديان دراسة مقارنة»، د.مصطفى حلمي، طبعة دار الدعوة، صـ١١٠.

أسطوانة كورش لحقوق الإنسان:

هي أسطوانة طينية تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد، تم اكتشافها عام ١٨٧٩، وقد كُتبت باللغة البابليّة، والأُسطوانة محفوظة في المتحف البريطاني بلندن، تضمنت حرية الديانة، وترسيخ العدالة وغيرها من معاني الإنسانية السامية.

جاء في تقرير «بي بي سي»: «وتمثل أسطوانة كورش القطعة الأثرية الأساسية لمعرض بعنوان «أسطوانة كورش وفارس القديمة: بداية جديدة»، والذي يعرض ١٦ قطعة أثرية من مقتنيات المتحف البريطاني.

وكانت هذه الأسطوانة المصنوعة من الصلصال على شكل برميل قد دُفِنت في مدينة بابل بعد أن استولى كورش على المدينة، وأعيد اكتشاف الأسطوانة عام ١٨٧٩، فيما كان يطلق عليها بلاد ما بين النهرين، وهي العراق حاليًا، على يد عالم الآثار والدبلوماسي البريطاني هورموزد راسام.

وتصف النقوش المسمارية المدونة على الأسطوانة كيف غزا كورش مدينة بابل بدعوة من الإله البابلي ماردوخ، كما تذكر أيضًا كيف حرر كورش الأمم التي استعبدها البابليون، وأعاد آلهتهم العديدة إلى أماكنها المقدسة.

وبالرغم من عدم إشارة الأسطوانة للشعب اليهودي بالاسم، ورد في كتاب كرونيكلز وكتاب عزرا أن اليهود كانوا من بين هؤلاء الذين حررهم كورش، وعادوا لأرضهم لبناء المعبد الثاني.

ويقول ماكغريغور: إن هذه الأعمال، والتي فُسّرت بالسماح بحرية العبادة وإعادة الأشخاص المهجرين إلى أماكنهم، قد أكسبت كورش سمعة طيبة بوصفه «ملكًا ليبراليًا ومستنيرًا».

وبالإضافة إلى المقتنيات المستعارة من المتحف البريطاني

لعرضها في العاصمة الأمريكية واشنطن، تعرض أيضًا نسخة من كتاب سيروبيديا، أو «موسوعة كورش»، وهو كتاب للفيلسوف اليوناني زينوفون حول حياة الملك كورش.

والكتاب هو أحد نسختين تعودان لتوماس جيفرسون، ويحفظان في مكتبة الكونجرس الأمريكي، ونشر هذا الكتاب، وهو باللغتين اليونانية واللاتينية، في أوروبا عام ١٧٦٧.

جاء في التوراة نبوءة تدمير بابل على يد الفرس، وفيها إشارة إلى شيء فخاري سوف يجيء به الفرس، وذلك في (سفر إرميا الإصحاح ٥٠): «ارفعوا راية الفخار، وقولوا أخذت بابل وخزى بيل ومردوخ، وأوثانها وسُحقت الأصنام؛ لأنه قد طلعت عليها من الشمال أمة تهدم كل هذه البينايات، وتكسر سطوتها».

لكن الأسطوانة الفخارية لم تتضمن كسر الأصنام إنما تضمنت حرية العبادة، ولعل النص التوراتي يتكلم عن أسطوانة أخرى غير هذه، والعلم عند الله.

على كل حال، إنه من المنطق والعقل أن نقول لو كان

كورش هو ذو القرنين - كما دلَّ على ذلك دلائل قوية ووجيهة - إذن لماذا لم تذكر التوراة قصته مع يأجوج ومأجوج؟! ولماذا لم يُدون ذلك عِزرا في كتابه؟ وعزرا هو ممن رجع من سبي اليهود، لاسيما وأن عزرا كان متيمًا بكورش، فبعيد جدًا أن تفوته مثل هذه الإنجازات.

ثم لماذا لم يذكره المسلمون الأوائل كالصحابة والتابعين كأحد الاحتمالات أن يكون هو ذو القرنين، كما ذكروا الإسكندر الأكبر، والملك العربي الحميري؟! لاسيما وأن بعضهم اختلط بأهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الأحبار وغيره.

ثمة تساؤلات تجعل الطرح القائل بأنه كورش هو ذو القرنين محل بحثٍ ونظر، وإن كان ليس بمستبعَد، والله أعلم.

الرأي القائل إن ذا القرنين من العرب

قال المقريزي في الخطط: «اعلم أن التحقيق عند علماء الأخبار أن ذا القرنين الذي ذكره الله في كتابه العزيز فقال: {ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرًا إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا}... الآيات، عربي قد كثر ذكره في أشعار العرب، وأن اسمه الصعب بن ذي مراثد بن الحارث الرائش بن الهمال ذي سدد بن عاد ذي منح بن عار الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح، وأنه ملك من ملوك حمير ملوك اليمن وهم العرب العاربة، ويقال لهم أيضًا العرب العرباء، وكان ذو القرنين تُبّعًا مُتوّجًا، تُبّع لقب يُطلق على ملوك اليمن، ولما ولي الملك تجبر ثم تواضع لله، واجتمع بالخضر، **وقد أخطأ من ظن أن الإسكندر بن فيلبس هو ذو القرنين الذي بنى السد، فإن لفظة ذو عربية، وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن، وذاك رومي يوناني، وأيضًا هذا اليوناني لم يعمر أكثر من ٣٠ عامًا وقُتِل وسيرته معروفة».**

يقول ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٣٨٤ - ٣٨٥): «والذي يقوي أن ذا القرنين من العرب كثرة ما ذكروه في أشعارهم. قال أعشى بن ثعلبة:

والصعب ذو القرنين أمسى ثاويًا

بالحِنْو في جدث هناك مقيم

والحِنْو بكسر المهملة وسكون النون في ناحية المشرق.

وقال الربيع بن ضبيع:

والصعب ذو القرنين عمّر ملكه

ألفين أمسى بعد ذاك رميما

وقال قس بن ساعدة:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويًا

باللحد بين ملاعب الأرياح

وقال تبع الحميري:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلمًا

ملكًا تدين له الملوك وتحشدُ

من بعده بلقيس كانت عمتي

ملكتهم حتى أتاها الهدهدُ

وقال بعض الحارثيين يفتخر بكون ذي القرنين من اليمن يخاطب قومًا من مضر:

سمُّوا لنا واحدًا منكم فنعرفه

في الجاهلية لاسم الملك محتملا

كالتُّبَّعين وذي القرنين يقبله

أهل الحجى وأحق القول ما قبلا

وقال النعمان بن بشير الأنصاري الصحابي بن الصحابي:

ومن ذا يعادينا من الناس معشر

كرام وذو القرنين منا وحاتم

انتهى.

ويؤخذ من أكثر هذه الشواهد أن الراجح في اسمه الصعب، ووقع ذكر ذي القرنين أيضًا في شعر امرئ القيس، وأوس بن حجر، وطرفة بن العبد... وغيرهم».

ولذا فقد سأل المسلمون الأوائل رسول الله عن ذي القرنين، سألوا عن جدهم العربي: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣]، فهذا السؤال الذي ذكره القرآن واضح الدلالة في كونهم يعلمون أن ذا القرنين أحد أجدادهم، لذا سألوا عنه، ناهيك عن ذكرهم له في أشعارهم وافتخارهم بكونه منهم، وتجدر الإشارة هنا إلى أن القول بأن سبب نزول هذه الآيات هو سؤال اليهود ضعيف، ضعّفه غير واحد من أهل العلم، وقال ابن القيم في «الروح» (٢/ ٥١٨): ضعيف.

وغرضنا في هذه النقطة شيء واحد فقط، هو توضيح كون المسلمين الأوائل كانوا يعتقدون بأن ذا القرنين عربي منهم، أما مَن هو على وجه اليقين فلا يعنينا هذا في شيء البتة.

ويرى الحافظ ابن حجر أن ذا القرنين هو الملك العربي المُتقدم عن الإسكندر الذي كان متزامنًا مع إبراهيم عليه السلام، فيقول ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٣٨٢): «والحق أن الذي قصّ الله نبأه في القرآن هو المتقدم - أي متقدم عن الإسكندر - والفرق بينهما من أوجه؛ أحدها ما ذكرته، والذي يدل على تقدُّم ذي القرنين ما روى الفاكهي من طريق عبيد بن عمير أحد كبار التابعين أن ذا القرنين حجَّ ماشيًا، فسمع به إبراهيم، فتلقاه. ومن طريق عطاء عن بن عباس أن ذا القرنين دخل المسجد الحرام، فسلَّم على إبراهيم وصافحه، ويقال: إنه أول من صافح، ومن طريق عثمان بن ساج أن ذا القرنين سأل إبراهيم أن يدعو له، فقال: وكيف وقد أفسدتم بئري، فقال: لم يكن ذلك عن أمري، يعني أن بعض الجند فعل ذلك بغير علمه، وذكر ابن هشام في «التيجان» أن إبراهيم تحاكم إلى ذي القرنين في شيء، فحكم له، وروى بن أبي حاتم من طريق على بن أحمد أن ذا القرنين قدِم مكة، فوجد

إبراهيم وإسماعيل يبنيان الكعبة، فاستفهمهما عن ذلك، فقالا: نحن عبدان مأموران، فقال: من يشهد لكما؟ فقامت خمسة أكبش، فشهدت، فقال: قد صدقتم، قال: وأظن الأكبش المذكورة حجارة، ويحتمل أن تكون غنمًا، فهذه الآثار يشد بعضها بعضًا، ويدل على قدم عهد ذي القرنين».

وقال أبو منصور الثعالبي في «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب»: «ذو القرنين: قال الجاحظ في كتاب التدوير والتربيع: ولقد سألت عن ذي القرنين أهو الإسكندر؟ ومن أبوه؟ ومن قيري ومن عيري، فقال القاضي أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني في الجواب عن ذلك وشرحه قال: أكثر من بحث عن سالف الأمور، وتصفَّح ما حدث منها من متقادم العصور أن التسمية بذي القرنين لا تُعرف في غير هذه اللغة، ولا يوجد منها علم إلا عند هذه الأمة، ومتى سمعنا غيرهم ينطق بها، ووجدنا بعض الأمم يذكرها فبحثنا عن أصلها ومأخذها وسألناهم عن معناها وتأويلها أصبناها راجعة إليهم، وأحلنا في الإسناد عليهم، قالوا: ولم نعثر على كثرة التفتيش والتكشيف وشدة الطلب والتنقير من ملوك الأمم وأولياء الدول وقادة الجيوش وساسة الجنود، ممن ارتفع فشهر أو خمل فغمر، بمن لزمه هذا الاسم أو حصل له معناه أو استحقه بلازم خلقه أو مستجد صفة، فأما نحن فقد

وجدنا في التواريخ القديمة المأخوذة عن السريانية واليونانية أن ضاميرس وهو الثالث من ملوك بابل خرج عليه أطر كركسى، فحاربه وظفر به، فقتله، ونزع قرني رأسه، فجعلها إكليلًا يلبسه، فسُمِّي ذا القرنين، فهذا كما تراه تسمية مأخوذة من الأمم السالفة منقولة عن تلك اللغة إلى هذه». انتهى.

وقال صديق حسن خان القنوجي في «لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان»: «وقف التحقيق عند علماء الأخبار أن ذا القرنين الذي ذكره الله في كتابه فقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ عربي قد كثر ذكره في أشعار العرب، وأن اسمه الصعب بن ذي مراثد بن الحارث الرائش بن الهمال ذي سدد بن عاد بن دلدار فخشد بن سام بن نوح عليه السلام، وأنه ملك من ملوك حمير وهم العرب العاربة، ويقال لهم أيضا العرب العرباء.. وقد غلط من ظن أن الإسكندر بن فيلبش هو ذو القرنين الذي بنى السد، فإن لفظة «ذو» عربية و«ذو القرنين» من ألقاب العرب ملوك اليمن وذاك رومي يوناني».

النقد الموجه إلى هذا الرأي

يلاحظ أن من ضمن الأدلة التي استدلّ بها القائلون بأنه من العرب الحميريين، أن كلمة «ذو القرنين» واستخدام «ذو» كان مستخدمًا في اليمن قديمًا، مثل سيف بن ذي يزن، ونحو ذلك من الأسماء.

لكن يواجه أصحاب هذا الرأي اعتراض أن اللفظ قد يكون معربًا، فقد ورد في القرآن ألقابًا كهذه مثل «ذو الكفل»، «ذو النون» مع أن ذا النون هو يونس عليه السلام، وهو من بني إسرائيل.

مما يجعل الاستدلال بمجرد اللقب وموافقته للغة العربية ليس دليلًا قويًا، بل لا يصلح أن يكون دليلًا من الأساس، لا قويًا ولا ضعيفًا.

غير أننا نجد أن هذا الرأي مشفوعًا بأدلة أخرى قوية، لا يمكن إغفالها، مثل أشعار العرب القديمة التي ذكرت ذا القرنين الحميري، وآراء بعض الصحابة والتابعين التي تؤيد هذا الرأي. ويبقى رأيًا وجيهًا لا يمكن مدافعته.

يأجوج ومأجوج

أخرج البخاري ومسلم من حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش أن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا»، وَحَلَّقَ إِبْهَامَهُ بِالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زينب: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ».

وفي «صحيح مسلم» من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يوحي إلى عيسى ابن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال أني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد في قتالهم؛ فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمرُّ أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذا ماء، ويحصرون عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار»... الحديث.

حديث قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة مرفوعًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى

إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَنَحْفِرُهُ غَدًا، فَيُعِيدُهُ اللَّهُ أَشَدَّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَاسْتَثْنَوْا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيُنْشِفُونَ الْمَاءَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ عَلَيْهَا الدَّمُ الَّذِي اجْفَظَّ (أي ترجع سهامهم، وقد امتلأت دمًا فتنة لهم)، فَيَقُولُونَ قَهَرْنَا أَهْلَ الأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ نَغَفًا (أي دودًا) فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكَرُ شَكَرًا (أي تمتلئ شحمًا) مِنْ لُحُومِهِمْ».

والحديث في الترمذي وابن ماجة وغيرهما.

أين يقع سد يأجوج ومأجوج؟

ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٤٨) أن ابن المنذر أخرج عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾.

قال ابن عباس: «الجبلان أرمينية وأذربيجان»، ورواه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٢٧٨) من طريق ابن عباس مثله.

قال الشوكاني في «فتح القدير» (٣/ ٣١١): «السدان هما جبلان من قبل أرمينية وأذربيجان».

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٠٩) عن السدين: «جبلان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك، فيعيثون فيها فسادًا، ويهلكون الحرث والنسل».

قال ابن حزم في «الفصل» (١/ ١٢٠): «فإن قيل: ذكر في القرآن سد يأجوج ومأجوج ولا يدري مكانه ولا مكانهم!

قلنا: مكانه معروف في أقصى الشمال في آخر المعمورة، وقد ذكر أمر يأجوج ومأجوج في كتب اليهود التي يؤمنون بها ويؤمن بها النصارى، وقد ذكر يأجوج ومأجوج والسد أرسطاطاليس في كتابه «الحيوان»، وقد ذكر سد يأجوج ومأجوج بطليموس في كتابه المسمى «جغرافيا»، وذكر طول بلادهم وعرضها، وقد بعث إليه أمير المؤمنين الواثق، سلام الترجمان في جماعة معه، حتى وقفوا عليه، ذكر ذلك أحمد بن الطيب السرخسي وغيره، وقد ذكره قدامة بن

جعفر والناس».

وأصرح من ذلك أن الإدريسي وهو من علماء المسلمين الجغرافيين في القرن السادس الهجري الذين جابوا الأرض وضع خريطة دقيقة للعالم القديم أشار فيها إلى قبائل يأجوج ومأجوج، وهي كائنة في الخرائط الحديثة في هضبة منغوليا، وقد توفي الإدريسي سنة ٥٦٠هـ قبل خروج التتار من تلك المنطقة.

وقد ثبت بالدراسات الجغرافية والتاريخية الحديثة (وانظر كتاب «الصين» للشيخ المسند)، أن السد هو في سلسلة جبال القوقاز، وهي سلسلة جبال يبلغ طولها ١٢٠٠ كم، ويصل ارتفاعها إلى أكثر من ٥ آلاف متر، ويحدها شرقًا بحر قزوين، وغربًا البحر الأسود، لتصير بذلك حاجزًا طبيعيًا بين الشمال والجنوب في أواسط آسيا، ولا يوجد ممر بين سلسلة جبال القوقاز سوى ممر (داريال)، وهناك يوجد السد، وقد بُنِي من الحديد والنحاس المذاب، وقد كان هذا السد بعد بنائه حاجزًا ومانعًا من هجمات الشعوب والقبائل التي وراءه، وهي القبائل المغولية على القبائل الضعيفة التي دونه، أي جنوب جبال القوقاز، مدة ألف عام تقريبًا، توقفت فيها هجمات هذه القبائل حتى انحسر بحر قزوين، وظهر بذلك

ممر وطريق ساحلي بين شواطئ بحر قزوين وجبال القوقاز.

والمقصود بيان أن علماء الإسلام قد أشاروا إلى مكان وجود السد، وقد وافق ما ذكروه ما توصلت له الدراسات الجغرافية الحديثة، وثبت أن من وراء السد أي شمال القوقاز هم المغول والقبائل المغولية.

واقعة سلام الترجمان وتحديد موقع السد

سلام الترجمان رحالة عربي، اشتهرت رحلته إلى الأصقاع الشمالية من قارة آسيا بحثًا عن سد ذي القرنين، حتى قد اعتبر المستشرق «دي خويه» رحلته واقعة تاريخية لا شك فيها، وأنها جديرة بالاهتمام، وأيده في هذا الرأي خبير ثقة في الجغرافيا التاريخية هو «توماشك»، ويقول المستشرق الروسي «كراتشكوفسكي»: «وصف الرحلة لا يمكن اعتباره رسالة جغرافية، بل مصنف أدبي يحفل بعناصر نقلية من جهة وانطباعات شخصية صيغت في قالب أدبي من جهة أخرى».

وبدأت قصة الرحلة عندما رأى الخليفة العباسي الواثق بالله (٢٣٢ - ٧٢٢م) في المنام حلمًا تراءى له فيه أن السد

الذي بناه الإسكندر ذو القرنين ليحول دون تسرُّب يأجوج ومأجوج، قد انفتح، فأفزعه ذلك، فكلَّف سلام الترجمان بالقيام برحلة؛ ليستكشف له مكان سد ذي القرنين.

ويروي لنا الإدريسي في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، وابن خرداذيه في كتابه «المسالك والممالك» قصة هذه الرحلة على النحو التالي:

«إن الواثق بالله لما رأى في المنام أن السد الذي بناه ذو القرنين بيننا وبين يأجوج ومأجوج مفتوحًا، أحضر سلامًا الترجمان الذي كان يتكلم ثلاثين لسانًا، **وقال له اذهب وانظر إلى هذا السد وجئني بخبره وحاله، وما هو عليه،** ثم أمر له بأصحاب يسيرون معه وعددهم ٦٠ رجلًا، ووصله بخمسة آلاف دينار، وأعطاه ديته عشرة آلاف درهم، وأمر لكل واحد من أصحابه بخمسين ألف درهم، ومؤونة سنة، ومائة بغل تحمل الماء والزاد، وأمر للرجال باللبابيد وهي أكسية من صوف وشعر.

وحمل سلام رسالة من الخليفة إلى إسحاق بن إسماعيل صاحب أرمينية بتفليس، وكتب صاحب أرمينية توصية لهم إلى صاحب السرير، وذلك كتب لهم إلى صاحب اللان،

وهكذا إلى فيلا شاه وطرخان ملك الخزر، الذي وجه معهم خمسة أدلاء ساروا معهم ٢٥ يومًا **حتى انتهوا إلى أرض سوداء منتنة الرائحة،** «فسرنا فيها عشرة أيام، ثم وصلنا إلى مدن خراب، فسرنا فيها عشرين يومًا، وسألنا عن خبرها، فقيل لنا هي المدن التي خربها يأجوج ومأجوج، ثم صرنا إلى حصون بالقرب من الجبل الذي في شعبة منه السد، وفي تلك الحصون قوم يتكلمون العربية والفارسية، مسلمون يقرأون القرآن ولهم كتاتيب ومساجد، وبين كل حصن وآخر فرسخان.

ثم صرنا إلى مدينة يقال لها (إيكة) لها أبواب من حديد، وفيها مزارع، وهي التي كان ينزلها ذو القرنين بعسكره، بينها وبين السد مسيرة ثلاثة أيام، ثم صرنا إلى جبل عالٍ، عليه حصن، **والسد الذي بناه ذو القرنين هو فجٌّ بين جبلين عرضه ٢٠٠ ذراع،** وهو الطريق الذي يخرجون منه، فيتفرقون في الأرض، فحفر أساسه ٣٠ ذراعًا وبناه بالحديد والنحاس، ثم رفع عضادتين مما يلي الجبل من جنبتي الفج عرض كل منهما ٢٥ ذراعًا في سمك ٥٠ ذراعًا، وكله بناء بلبن مغيّب في نحاس، وعلى العضادتين عتبة عليا من حديد طولها ١٢٠ ذراعًا، وفوقها بناء بذلك اللبن الحديد إلى رأس الجبل، وارتفاعه مد البصر»... «فيكون البناء فوق العتبة ٦٠

ذراعًا، وفوق ذلك شرف من حديد، في كل شرفة قرنتان تنثني كل واحدة على الأخرى، طول كل شرفة خمسة أذرع في أربعة، وعليه سبع وثلاثون شرفة، وباب من حديد بمصراعين معلقين عرض كل مصراع ٥٠ ذراعًا في ٧٥ ذراعًا في ثخن خمسة أذرع، وقائمتان في دوارة على قدر العتبة، لا يدخل من الباب ولا الجبل ريح، وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ باع في الاستدارة، والقفل لا يحتضنه رجلان، وارتفاع القفل من الأرض ٢٥ ذراعًا، وفوق القفل بخمسة أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل، وقفيزاه كل واحد ذراعان، وعلى الغلق مفتاح معلق طوله ذراع ونصف، وله ٢١ سنًا من الأسنان، واستدارة المفتاح ٤ أشبار معلق في سلسلة ملحومة بالباب طولها ٨ أذرع في ٤ أشبار، والحلقة التي فيها السلسلة مثل المنجنيق، وعتبة الباب عرضها ١٠ أذرع في بسط مائة ذراع، ومع الباب حصنان يُكوّن كل منهما ٢٠٠ ذراع.

«وفي أحد الحصنين آلة البناء التي بُنِي بها السد، من قدور الحديد ومغارف حديد، وهناك بقية من اللبن الذي التصق بعضه؛ بسبب الصدأ، ورئيس تلك الحصون يركب في كل يومي اثنين وخميس، وهم يتوارثون ذلك الباب كما يتوارث الخلفاء الخلافة، يقرع الباب قرعًا له دوي، والهدف منه أن

يسمعه مَن وراء الباب، فيعلموا أن هناك حفظة، وأن الباب ما زال سليمًا، **وعلى مصراع الباب الأيمن مكتوب: {فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقًا}**، والجبل من الخارج ليس له متن ولا سفح، ولا عليه نبات ولا حشيش ولا غير ذلك، وهو جبل مسطح، متسع، قائم أملس أبيض».

وبعد تفقُّد سلام الترجمان للسد انصرف نحو خراسان، ومنها إلى طبانوين، ومنها إلى سمرقند في ثمانية أشهر، ومنها إلى أسبيشاب، وعبر نهر بلخ، ثم صار إلى شروسنة، فبخارى، وترمذ، ثم إلى نيسابور، ومات من الرجال في الذهاب ٢٢ رجلًا، وفي العودة ٢٤ رجلًا.

وورد نيسابور وبقي معه من الرجال ١٤، ومن البغال ٢٣ بغلًا، وعاد إلى «سر من رأى»، فأخبر الخليفة بما شاهده، بعد رحلة استمرت ١٦ شهرًا ذهابًا و١٢ شهرًا إيابًا.



صورة لسد ذي القرنين من جوجل إيرث

العين الحمئة

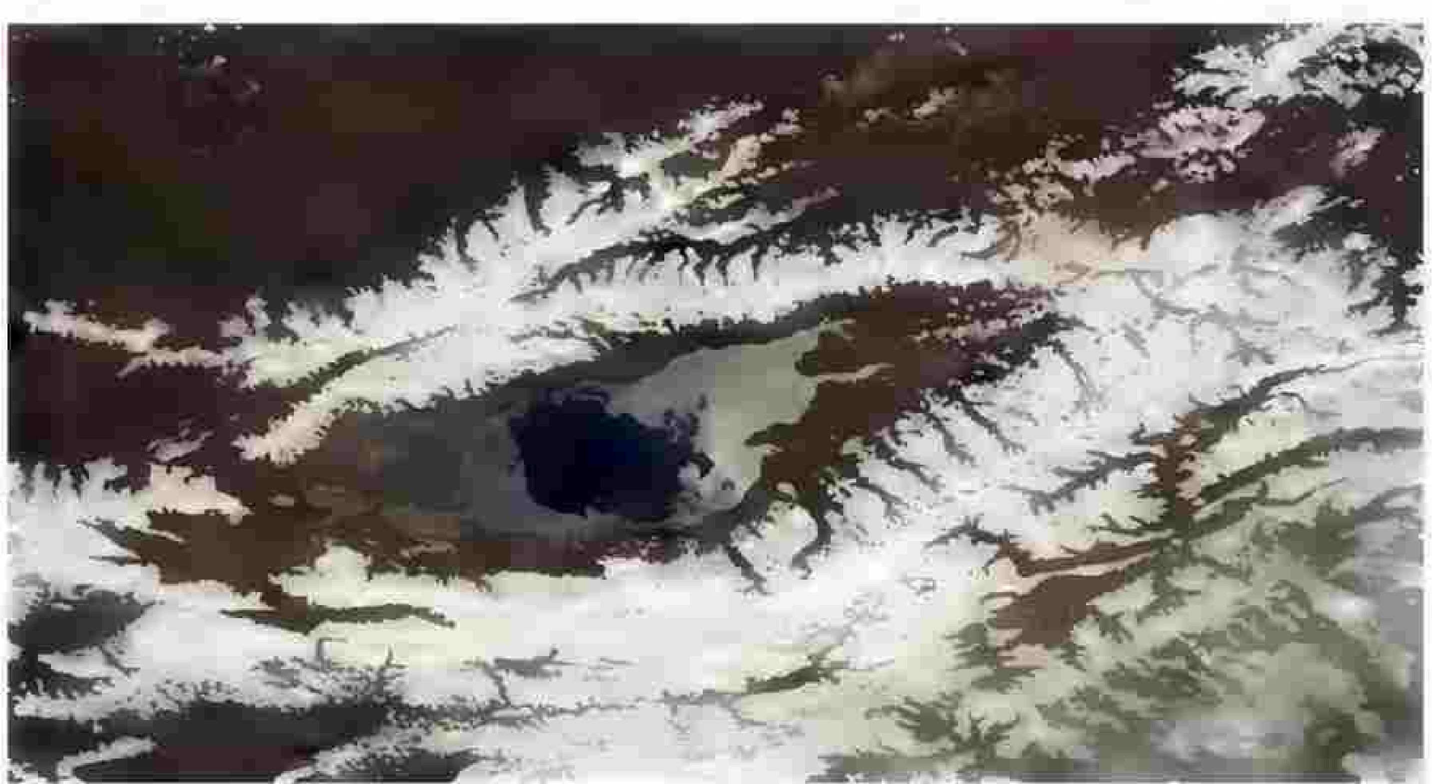
أين تقع العين الحمئة الآن؟

يعتقد البعض أن العين الحمئة هي إيسيك كول، وهي موجودة شرق قيرغيزستان، يُعتقد أنها العين الحمئة، وهي تشبه شكل العين إلى حدٍّ كبير، وتصبُّ بها الأنهار، وتتغذى على الينابيع الساخنة، وبها طين، ويعني اسمها بالتركية القيرغستانية «البحيرة الحارة أو الدافئة»، حيث لا تتجمد طوال السنة، وهذه بعض المعلومات كما يلي:

Lake Issyk-Kool

Fig. ASI-55-4 Schematic map of the bottom sediments (2).

- lime clay silt (more than 75% of the terrigenous particles are less than 0.01 mm in diameter)
- clay silt (50-75% of particles are less than 0.01 mm in diameter)
- alegritic silt (particles 0.01-0.1 mm in diameter dominate)
- sand (particles of 0.1-2 mm in diameter)
- weak-lime silt in bays
- dense growth of charophyte green algae on black silt (often with hydrogen sulphide smell)



صورة العين الحمئة من جوجل إيرث

أقوال المفسرين في العين الحمئة:

تعددت أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ، ففسرها بعضهم بالعين الطينية السوداء، وبعضهم بالعين الحارة، بناءً على اختلاف القراءات، فبعضهم قرأها: (عينٍ حامية)، وكلا القراءتين صحيحة. فهي عين سوداء وحارة في آنٍ واحد.

فأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه كان يقرأ: ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾. قال كعب: ما سمعت أحدًا يقرؤها كما هي في كتاب الله غير ابن عباس، فإنما نجدها في التوراة: تغرب في حمأة سوداء.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، من طريق عطاء، عن ابن عباس قال: خالفت عمرو بن العاصي عند معاوية في: حمئة، و(حامية)؛ قرأتها: في عين حمئة. فقال عمرو: (حامية). فسألنا كعبًا، فقال: إنها في كتاب الله المنزل: تغرب في طينة سوداء.

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم، من طريق ابن حاضر، عن ابن عباس قال: كنا عند

معاوية، فقرأ: (تغرب في عين حامية). فقلت له: ما نقرؤها إلا: ﴿فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٍ﴾، فأرسل معاوية إلى كعب فقال: أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟ قال: أما العربية فلا علم لي بها، وأما أنا فأجد الشمس في التوراة تغرب في ماء وطين.

وأخرج سعيد بن منصور عن طلحة بن عبيد الله، أنه كان يقرأ: (في عين حامية).

وأخرج ابن أبي حاتم، من طريق علي، عن ابن عباس: (في عين حامية). يقول: حارة.

ردٌ على شبهة أن الشمس ﴿تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٍ﴾

فَهِم بعض المستشرقين أن الشمس تغطس وتغيب في هذه العين الحمئة، وخلصوا بنتيجة أن النبي ﷺ كان يظن الأرض مسطحة مثل غالب الناس وقتئذ؛ لأن معنى الآيات أنه بلغ نهاية الأرض، وهذا يتعارض مع أن الأرض كروية، وتدور حول الشمس.

ونقول هذه ليست شبهة أصلًا، بل هذا الذي هم فهموه من الآيات، فالآيات الكريمات تتحدث عن رؤية ذي القرنين

لمنظر الشمس، لا أنها تقرر حقيقة علمية.

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾؛ أي: رأى الشمسَ في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كلِّ مَنِ انتهى إلى ساحله يراها كأنَّها تغرب فيه». «تفسير ابن كثير» (١٣٨/٣)

ونقل الإمام القرطبي عن القفال قوله: «المراد أنَّه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها في رأي العين تغرُب في عين حَمِئة، كما أنَّا نشاهدها في الأرض الملساء كأنَّها تدخل في الأرض». «تفسير القرطبي» (٤٨/١١).

وقال الألوسي: «المراد وجدها في نظر العين كذلك؛ إذ لم يرَ هناك إلا الماء، لا أنَّها كذلك حقيقة، وهذا كما أن راكب البحر يراها كأنَّها تطلع من البحر وتغيب فيه إذا لم ير الشطَّ، والذي في أرض ملساء واسعة يراها أيضًا كأنَّها تطلع من الأرض وتغيب فيها». تفسير «روح المعاني»، للألوسي (١٨/٤٦).

ويؤكد ذلك مصطفى صادق الرافعي، بقوله: «فلفظة «وَجَدَهَا» هنا سر الإعجاز، فإن الآية لا تقرر حقيقة مغرب

الشمس حتى يقال إنها خالفت العلم، وإنما تصف الآية حالة قائمة بشخص معين، كما يقول القائل: «نظرت إلى السماء فوجدت الكواكب كل نجم كالشرارة». فهذا صحيح في وجدانه هو لا في الحقيقة، ولو كان القرآن كلام إنسان في ذلك الزمن، لجعلها حقيقة مقررة مفروغًا منها، ولقال: كانت الشمس تغرب... إلخ) **«رسائل الرافعي» (ص٢٦٢).**

إذن فالله عز وجل يخاطب البشر بما يرى الناس، وهذا كثير في الكتاب المقدس، بل يوجد ذلك بشكلٍ لا يمكن تأويله.

وهذا ما يصرح به القس منسي يوحنا معقبًا على وقف الشمس ليشوع كما ورد في (يشوع ١٢/١٠ - ١٣): «الكلام بحسب مقتضى الظاهر، والفلكيون المحدثون القائلون بدوران الأرض يقولون: «أشرقت الشمس وغربت»؛ لأن في ذلك اختصارًا وبيانًا للناظرين، وإلا لاضطررنا أن نقول [معبرين عن غروب الشمس]: دارت الأرض حتى بعُد مكاننا عن الشمس، فحُجبت عنا الشمس لكروية الأرض».

والنص الذي يحاول تأويله القس منيس هو: «حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بني إسرائيل،

وقال أمام عيون إسرائيل يا شمس دومي على جبعون، ويا قمر على وادي أيلون».

إذن فلا يمكن اعتبار أن الآية القرآنية (وجدها تغرب في عينٍ حمئة) تتكلم من منظور أن الأرض مسطحة، كيف وأئمة المسلمين الأوائل متفقون على أن الأرض كروية!! في الوقت الذي كان يسود العالم أن الأرض مسطحة!!

الأرض كروية عند أئمة المسلمين

تأمل هذا الكلام العلمي للفخر الرازي في تفسيره «مفاتيح الغيب» (٢١/ ١٤٢): «ثبتَ بالدليل أن الأرض كرة، وأن السماء محيطة بها، ولا شك أن الشمس في الفلك، ومعلوم أن جلوس قوم في قرب الشمس غير موجود، وأيضًا الشمس أكبر من الأرض بمرات كثيرة، فكيف يُعقل دخولها في عين من عيون الأرض؟ إذا ثبت هذا فنقول: تأويل قوله: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾من وجوه.. أن ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب ولم يبق بعده شيء من العمارات، وجد الشمس كأنها تغرب في عينٍ وهدةٍ مظلمةٍ - وإن لم تكن كذلك في الحقيقة - كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم يرَ الشط، وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر، قال أهل الأخبار: إن الشمس تغيب في عين كثيرة الماء والحمأة، وهذا في غاية البعد؛ وذلك لأننا إذا رصدنا كسوفًا قمريًا، فإذا اعتبرناه ورأينا أن المغربيين قالوا: «حصل هذا الكسوف في أول الليل»، ورأينا المشرقيين قالوا: «حصل في أول النهار»، فعلمنا أن أول الليل عند أهل المغرب هو أول النهار الثاني عند أهل المشرق، بل ذلك الوقت الذي هو أول الليل عندنا فهو وقت العصر في بلد، ووقت الظهر في بلد

آخر، ووقت الضحوة في بلد ثالث، ووقت طلوع الشمس في بلد رابع، ونصف الليل في بلد خامس. وإذا كانت هذه الأحوال معلومة بعد الاستقراء والاعتبار، وعلمنا أن الشمس طالعة ظاهرة في كل هذه الأوقات كان الذي يقال: إنها تغيب في الطين والحمأة كلامًا على خلاف اليقين، وكلام الله تعالى مبرًأ عن هذه التهمة».

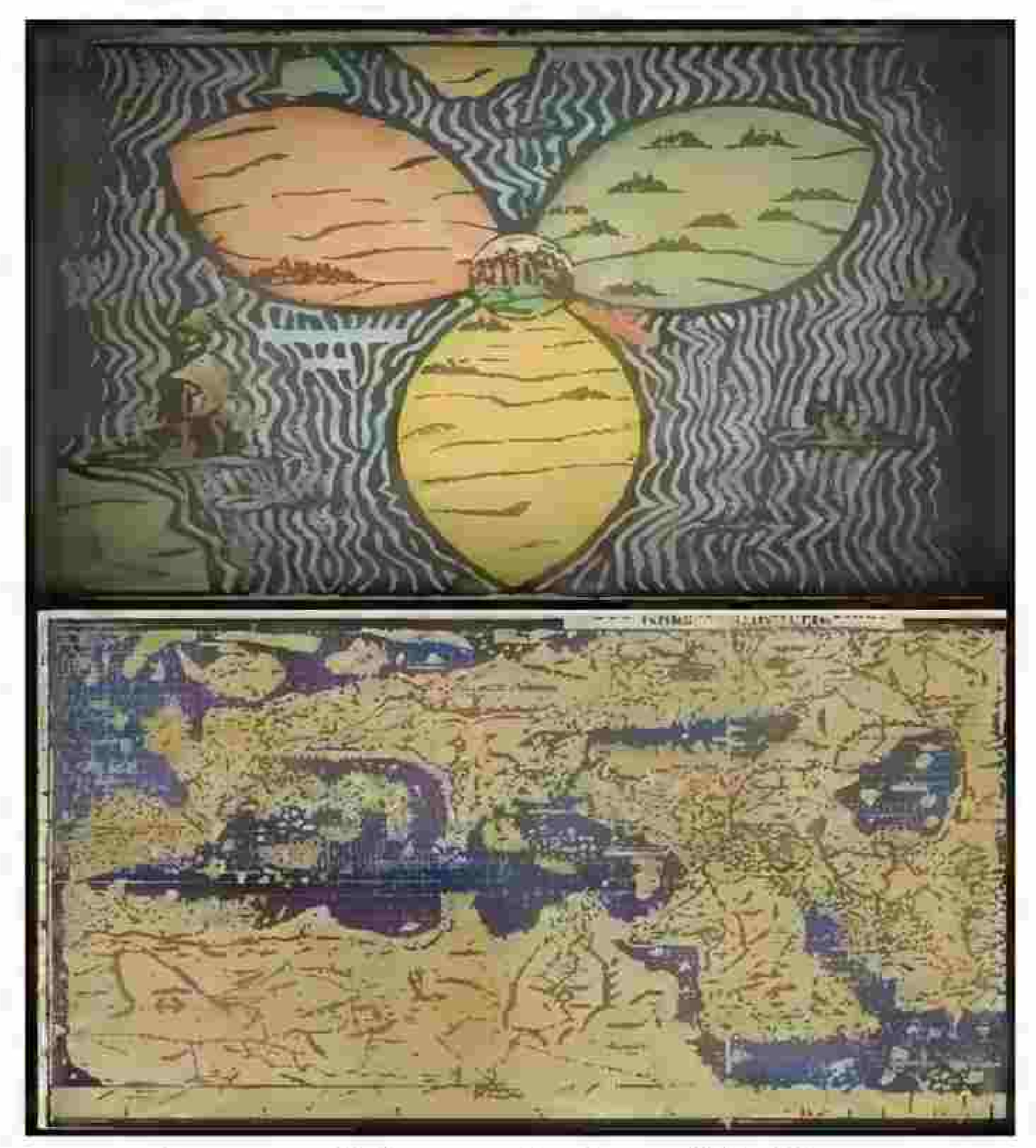
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (اعلم أن «الأرض» قد اتفقوا - أي علماء الإسلام - على أنها كروية الشكل، وهي في الماء المحيط بأكثرها؛ إذ اليابس السدس وزيادة بقليل، والماء أيضًا مقبب من كل جانب للأرض، والماء الذي فوقها بينه وبين السماء كما بيننا وبينها مما يلي رؤوسنا وليس تحت وجه الأرض إلا وسطها ونهاية التحت المركز، فلا يكون لنا جهة بينة إلا جهتان: العلو والسفل، وإنما تختلف الجهات باختلاف الإنسان فعلو الأرض وجهها من كل جانب. وأسفلها ما تحت وجهها - ونهاية المركز - هو الذي يسمى محط الأثقال فمن وجه الأرض والماء من كل وجهة إلى المركز يكون هبوطًا، ومنه إلى وجهها صعودًا، وإذا كانت سماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها فالثانية كروية، وكذا الباقي».
«مجموع الفتاوى» (٥/ ١٥٠).

وقال أيضًا: «وكذلك أجمعوا - أي المسلمين - على أن الأرض بجميع حركاتها من البر والبحر مثل الكرة. قال: ويدل عليه أن الشمس والقمر والكواكب لا يوجد طلوعها وغروبها على جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد، بل على المشرق قبل المغرب». انتهى من «مجموع الفتاوى» (٢٥/١٩٥).

وقال ابن حزم رحمه الله: «مطلب بيان كروية الأرض. وهذا حين نأخذ إن شاء الله تعالى في ذكر بعض ما اعترضوا به، وذلك أنهم قالوا: إن البراهين قد صحت بأن الأرض كروية، والعامة تقول غير ذلك، وجوابنا وبالله تعالى التوفيق: أن أحدًا من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضي الله عنهم لم ينكروا تكوير الأرض، ولا يحفظ لأحد منهم في دفعه كلمة، بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها». وساق جملة من الأدلة على ذلك. «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢/ ٧٨).

ولا حاجة لنا في حكاية كيف كان حال أوروبا لما خطَّ المسلمون هذا الكلام السابق؟! وكيف اتهموا جاليليو بالزندقة؟ وكيف كانوا يرسمون الأرض مثل الوردة في وسطها مدينة القدس، ثم يتفرع منها ورقات، كل ورقة تمثل

اليابسة!



صورة خريطة الأرض كما رسمها الشريف الإدريسي المولود عام ٤٩٣ هجرية، وهي تشبه خرائط اليوم إلى حدٍ كبير، في المقابل صورة خريطة العالم عند علماء أوروبا وقتئذ، على شكل وردة تمثل اليابسة، ويتوسط الوردة مدينة القدس!!

آراء العلماء والكتاب في يأجوج ومأجوج

أولًا: الرأي القائل إنهم المغول وأهل الصين

يقول أنصار هذا الرأي: إن يأجوج ومأجوج ليست قضية غيبية، بل هي قضية حسيّة معروفة عند العلماء، وإن يأجوج ومأجوج ليسوا محجوزين وراء الردم، ولا يحاولون الخروج، بل هم قبائل المغول والتتار، وقد خرجوا أيام الدولة العباسية، ولهم خروج آخر، في آخر الزمان.

ويرى أنصار هذا الرأي أن الخرافة قد سيطرت على عقول المسلمين، وأن الإسرائيليات والآثار الضعيفة هي ما دعتهم إلى الإيمان بوجود مخلوقات لا وجود لها على أرض الواقع.

في الحقيقة أن هذا الرأي يبدو أكثر عقلانية، وانسجامًا مع الواقع، وله أدلة قوية تؤيده.

ولقد أكد الطاهر بن عاشور المُفسّر ذلك بقوله: «والذي يجب اعتماده أن يأجوج ومأجوج هم المغول والتتر. وقد ذكر أبو الفداء أن مأجوج هم المغول، فيكون يأجوج هم

التتر؟ وقد كثرت التتر على المغول، فاندمج المغول في التتر، وغلب اسم التتر على القبيلتين».

ويؤكد ابن عاشور على موقع الحادثة فيقول: «إن موضع السدين هو الشمال الغربي لصحراء (قوبِي) الفاصلة بين الصين وبلاد المغول شمال الصين وجنوب (منغوليا). وقد وجد السد هنالك، ولم تزل آثارهُ إلى اليوم شاهدَها الجغرافيون والسائحون، وصُوِّرت صور شمسية في كتب الجغرافيا وكتب التاريخ العصرية».

يقول علامة الحجاز ناصر السعدي في كتابه «يأجوج ومأجوج وفتنة الدجال»: «... ويوجد كثير من المؤمنين يتوهمون ويظنون ويعتقدون أن يأجوج ومأجوج، أنهم إلى الآن لم يظهروا ولم يعثر عليهم أحد، ولم يبرزوا إلى الناس، وأنهم وراء السد والردم الذي بناه ذو القرنين، وأنهم أمم عظيمة أضعاف أضعاف الموجودين الآن في الأرض من الآدميين... وهذا الظن غلط محض، وسببه عدم فهم ما جاء به الكتاب والسنة على وجهه في هذه المسألة، وعدم العلم بالواقع، وعدم العلم بأحوال الأرض وسكانها». أهـ «يأجوج ومأجوج وفتنة الدجال» للسعدي (ص١٣).

وما قرره أن يأجوج ومأجوج: «هم هؤلاء الأمم الروس والصين وأمريكا والإفرنج ومن تبعهم» (ص١٧).

وذهب **الشيخ راغب الطباخ مؤرخ الشام** إلى أنهم أهل الصين، وزاد عليهم أن سد ذي القرنين هو نفسه سور الصين العظيم، ولكن هذا أمر مستبعد.

يقول الدكتور منقذ السقار في كتابه «شبهات حول القرآن»:

(كثيرًا ما تشوش الروايات الضعيفة على التصور العام للموضوع، فتختلط مفاهيم الناس بالمرويات الشعبية التي تنزع عادةً نحو الخرافة والأسطورة، بعيدًا عن القول الصحيح.

مسألة يأجوج ومأجوج واحدة من أهم صور هذا المسلك، فقد اختلطت فيها الحقيقة بالخرافة، لتصوغ منها ما أشبه بالأسطورة، فقد زعم البعض أن يأجوج ومأجوج مختلفون عن البشر، استنادًا إلى روايةٍ لا تصح، تجعل «يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربع مائة ألف، لا يموت الرجل حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه.. هم أصناف: صنف

منهم أمثال الأرز.. طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء.. وصنف منهم يفترش بأذنه، ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيلٍ ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه» قال الألباني: موضوع.

فهذا بعض التسطير (من الأسطورة) الذي وقع في تحديد إنسانيتهم، لذا قال الإمام ابن كثير: «وهم يشبهون الناس كأبناء جنسهم من الترك الغُتم المغول، المجرزمة عيونهم، الدلف أنوفهم، الصهب شعورهم، على أشكالهم وألوانهم، ومن زعم أن منهم الطويل الذي كالنخلة السحوق أو أطول، ومنهم القصير الذي هو كالشيء الحقير، ومنهم من له أذنان يتغطى بإحداهما ويتوطأ بالأخرى؛ فقد تكلف ما لا علم له به، وقال ما لا دليل عليه». «النهاية في الفتن والملاحم»، ابن كثير (١/ ٢١٠).

وكما وقع الزلل في تحديد ماهيتهم، فقد وقع في وصف سدهم وأخبارهم معه، فجاءت الرواية غير الصحيحة لتزعم أن «يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غدًا، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع

الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غدًا إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس...» أخرجه الترمذي وابن ماجة وأحمد، وقال الألباني بصحته مرفوعًا، أما الشيخ شعيب الأرناؤوط فقال: إسناده إلى أبي هريرة صحيح، وفي رفعه نكارة.

فهذا الحديث صحح إسناده بعض المحدثين لما رأوا قتادة (المدلس) يصرح بالسماع من أبي رافع، فحكموا عليه بالصحة، وبقيت روايته تلقي بظلالها على فهوم المسلمين لقصة سد يأجوج ومأجوج، فتمسك جملتهم ببقاء السد إلى ظهورهم قبيل يوم القيامة.

وهذا الحديث على الصحيح ليس من قول النبي ﷺ، بل هو من كلام كعب الأحبار، وقد وهم من رفعه إلى النبي، قال الشيخ المحدث محمد أنور شاه الكشميري: «فاعلم أنا لم نجد في القرآن، ولا في حديث صحيح أن السد مانع عن خروجه من إلا ما عند الترمذي، فإنه يُشعر بظاهره أنه مانع عنه، ولكنه مخالف لما في الصحيح؛ لأنه يدل على أن السد في زمنه ﷺ كان فُتح مثل هذه، وحلّق بإصبعيه: الإبهام والتي تليها». **«فيض الباري شرح صحيح البخاري»، محمد**

أنور شاه الكشميري (٤/ ٣٥٤).

قال الحافظ ابن كثير: «وهذا إسناد قوي، ولكن في رفعه نكارة.. ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب الأحبار، فإنه كثيرًا ما كان يُجالس، ويحدثه، فحدّث به أبوهريرة، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع، فرفعه، والله أعلم». **«تفسير ابن كثير» (٥/ ١٩٨).**

لذا كان لزامًا التخلص من أثر هذه الروايات في الذهنية الشعبية بالاعتماد على المعطيات الصحيحة:

أ - يأجوج ومأجوج اسم يطلق بادئ ذي بدء على جنس البشر كانوا في زمن ذي القرنين الذي يُرجح أبو الكلام آزاد أنه كورش الإخميني ٥٢٩ ق.م الذي حكم فارس وأواسط آسيا في القرن السادس قبل الميلاد، وقد بنى على القوم سدًا من الحديد انضاف إلى السدود الطبيعية التي تسهم في حصارهم ومنع أذاهم عن جيرانهم، فما زالوا يحاولون الخروج من حبسهم ذاك.

فمن هم هؤلاء؟

تجيبنا الأحاديث الصحيحة أنهم أقوام من سكان أواسط

آسيا، فقد قال ﷺ: «وإنكم لا تزالون تقاتلون عدوًا حتى يأتي يأجوج ومأجوج، عراض الوجوه، صغار العيون، شهب الشعاف، من كل حدبٍ ينسلون، كأن وجههم المجان المطرقة» أخرجه أحمد، وهذه الصفات نفسها وُصِف بها سكان أهل خوز وكرمان التي تقع اليوم في دولة إيران، فقد قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزًا وكرمان من الأعاجم، حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر» أخرجه البخاري.

وفي «صحيح مسلم» نص ﷺ بتسميتهم بالترك، فقال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك؛ قومًا وجوههم كالمجان المطرقة، يلبسون الشعر، ويمشون في الشعر» أخرجه مسلم.

ب - من الثابت أن ليأجوج ومأجوج خروجًا قبيل يوم القيامة، يقترن بظهور عيسى عليه السلام، وفيه يُحدِثون من الفساد العريض ما أخبرت به الأحاديث الصحاح.

ولكن، هل من رابط بين انهدام السد وهذا الخروج؟ أو بمعنى آخر: هل خروجهم مقرون بانهدام السد في ذلك الزمان؟

ثم يتابع الدكتور «منقذ» أن خروجهم ليس مقرونًا بانهدام السد؛ لأنه قد يكون انهدم سابقًا».

ويؤكد في هذا الصدد الدكتور حاكم المطيري قائلًا: «وظل هذا السد والردم رحمة من الله بمن دون السد طوال نحو ألف سنة توقفت خلالها الهجمات والهجرات من شمال السد إلى جنوبه طوال هذه الفترة كما أثبتت الدراسات التاريخية، حتى كان أول ظهورها في القرن السابع الهجري بعد أن فقد السد صلاحيته، وستظل هذه الأمم مصدر خطر كما كانت قبل ذي القرنين وبناء السد، حتى يحين موعد خروجها على العالم قبل قيام الساعة.

وتمتاز هذه الأمة بالكثرة العددية الهائلة، وغلبة الكفر عليها، وجهلها بالأديان السماوية، وشدة بأسها، وهم كما جاء وصفهم عراض الوجوه صغار العيون، فطس الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة، ولا شك بأن القبائل المغولية هي جزء من هذه الأمم، وأرضهم خلف جبال القوقاز في هضبة منغوليا، فإذا انضم إليهم باقي قبائل وشعوب أمتَي يأجوج ومأجوج من الصين وغيرهم من أمم الشرق الآسيوي، فإنهم حينئذ سيكونون مصدر خطر حقيقي للعالم كله، وهذا قبل

قيام الساعة، ولا يعلم موعده إلا الله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ ﴾.

(جزءٌ من مقال للدكتور حاكم المطيري بعنوان «نظر بعد نظر» من موقعه بالشبكة؟).

تلخيص أدلة هذا الرأي السابق:

استدل هذا الرأي العقلاني بأدلةٍ؛ منها:

١ - أن علماء المسلمين الأوائل قد صرحوا بمكان السد، ومنهم من صرح بأن يأجوج ومأجوج هم المغول.

٢ - أن الآثار التي وردت فيها غرابة أشكال قوم يأجوج ومأجوج هي من الإسرائيليات، وأن بعضهم له أذنان كبيرتان ينام على واحدة ويلتحف بالأخرى، وأنه لا يموت أحدهم حتى يكون من صلبه ألف رجل ونحو ذلك من الآثار... لم يثبت فيه شيء، ولم يقله النبي ﷺ، بل هي من أقوال كعب الأحبار الذي كان يُحدّث من كتب أهل الكتاب.

٣ - أن الأرض كلها قد تم اكتشافها، ولم يعد شيء من الأرض

غير معلوم، فإن كان ذلك كذلك، فلم يعد هناك شعوب غير معلومة، فأين موضع يأجوج ومأجوج من الأرض؟! وهذه الأرض كلها أمامنا، تتقاسمها الأمم والشعوب، ولا يوجد جزء إلا وهو في حدود دولة قائمة، وما من دولة إلا وقد أحصت عدد شعبها وسكانها، ولو قال قائل: إن هناك دولة على وجه الأرض لا تعرفها دول العالم كله، وليس لها حدود مع أحد لعُدَّ هذا القول هذيانًا ومكابرةً للحس، فما هو الدليل النقلي القطعي الذي يصادم الحس إلى هذا الحد؟!

٤ - قد نعت النبي ﷺ الترك، كما نعت يأجوج ومأجوج بنفس وصفهم في حديثين متشابهين، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك؛ قومًا وجوههم كالمجان المطرقة يلبسون الشعر ويمشون في الشعر، وفي رواية: ينتعلون الشعر». أخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما.

وقال أيضًا: «إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: لَا عَدُوَّ، وَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تُقَاتِلُونَ عَدُوًّا حَتَّى يَأْتِيَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْعُيُونِ، شُهْبُ الشِّعَافِ، مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ» رواه أحمد.

ولما علم النبي ﷺ عددهم وكثرتهم وحدة شوكتهم قال

عليه الصلاة والسلام: «اتركوا الترك ما تركوكم». وقد خرج منهم في هذا الوقت أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى، ولا يردهم عن المسلمين إلا الله تعالى، حتى كأنهم يأجوج ومأجوج أو مقدمتهم.

٦ - أن الصين والترك من أولاد يافث وكذلك يأجوج ومأجوج، فهل هذه مصادفة؟

قال رسول الله: «وَلَدُ نُوحٍ ثَلاثَةٌ: سَامٌ، وَحَامٌ، وَيَافِثُ، فَأَمَّا سَامٌ أَبُو الْعَرَبِ، وَفَارِسَ، وَالرُّومِ، وَأَهْلِ الشَّامِ، وَأَهْلِ مِصْرَ. وَأَمَّا يَافِثُ فَأَبُو الْخَزَرِ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَأَمَّا حَامٌ فَأَبُو هَذِهِ الْجِلْدَةِ السَّوْدَاءِ». «تاريخ دمشق» لابن عساكر.

وقول العلماء والمفسرين والكتاب والباحثين: إن يأجوج ومأجوج هم من ذرية يافث بن نوح عليه السلام، ونوح من أحفاد آدم، وبالتالي فهم من أولاد آدم ونوح معًا؛ لأنه لا يُعقل أن ينسبوا إلى نوح، ولا ينسبوا إلى أدم أبي البشر .

نلاحظ في الأحاديث أن من يافث جاء يأجوج ومأجوج وفي الإسرائيليات قالوا: جاء من يافث الترك والصين والمغول وغيرهم، ألا يظهر المعنى بوضوح؟

قال ابن عباس ﷺ : هما ابنا يافث بن نوح عليه السلام.

ولكن يتبقى إشكالات على هذا الرأي وهي كما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾.

فظاهر الآية يقتضي أنهم محجوزون بالسد، وأنهم يخرجون قرب قيام الساعة.

وقد أجابوا عن ذلك بأن السد حجزهم في زمانهم، ولا يلزم من الآية أن يأجوج ومأجوج محجوزون الآن، ولا يستطيعون الخروج بسبب السد، بل الآية تتكلم عن خروجهم الأخير في نهاية الزمان، ولذلك قال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾ولم يقل: **(حتى إذا فُتح السد)!!**

٢ - من الانتقادات أيضًا على هذا الرأي العقلاني، وجود أحاديث صحيحة - ما أسلفنا - تدل على أن يأجوج ومأجوج يحاولون هدم الردم.

الحديث الأول:

حديث قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة مرفوعًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَنَحْفِرُهُ غَدًا، فَيُعِيدُهُ اللَّهُ أَشَدَّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَاسْتَثْنَوْا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيُنْشِفُونَ الْمَاءَ وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ عَلَيْهَا الدَّمُ الَّذِي اجْفَظَّ (أي ترجع سهامهم وقد امتلأت دمًا فتنة لهم)، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ نَغَفًا (أي دودًا) فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكَرُ شَكَرًا (أي تمتلئ شحمًا) مِنْ لُحُومِهِمْ».

والحديث في الترمذي وابن ماجة وغيرهما، وصححه المحدِّثون كالحاكم وابن حجر والألباني.

لكن أصحاب الرأي السابق ردُّوا هذا التصحيح، وقالوا: الصواب أنه من كلام أبي هريرة، ولا يصح مرفوعًا إلى النبي

ﷺ، كما أن قتادة معروف بالتدليس، ولو صح الأثر، فإنما يصح عن أبي هريرة موقوفًا عليه، ولعله سمعه من كعب الأحبار؛ لأن أبا هريرة كان يسمع منه. هذا خلاصة ما أجابوا به عن هذا الحديث.

والحديث الثاني:

وهو ما أخرجه البخاري ومسلم رحمهما الله من حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش أن النبي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا»، وَحَلَّقَ إِبْهَامَهُ بِالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زينب: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ».

وهذا الحديث لا غبار عليه، فهو مُخرّج في الصحيحين صلب الإسناد وفي أعلى درجات الصحة.

لكن أجابوا عنه بأنه غير صريح بأنهم ما زالوا الآن محجوزين خلف الردم، غايةُ ما في الحديث أنه إنذارٌ بخروجهم، والمعنى في قوله: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا...| هو معنى رمزي يراد به الإنذار بخروجهم، وقد خرج المغول في السابق، ولهم خروج آخر في آخر الزمان!

وفي الحقيقة على الرغم من أن هذا الرأي يميل إلى العقلانية، إلا أن فيه بعض التكلف في تأويل بعض الآيات والأحاديث الصحيحة عن ظاهرها، ولكن يبقى رأيًا معتبرًا؛ لعدم مصادمته الصريحة للنصوص، فإن النصوص الصحيحة محتملة.

الرأي القائل بأنهم محجوزون إلى الآن وراء السد

يقول العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله: «إن دعوى معرفة جميع بقاع الأرض باطلةٌ؛ فإن بقعة كل من القُطْبَيْنِ لا سِيَّمَا القطب الجنوبي لا تزال مجهولةً، وقد استدل بعض العلماء على أن السدَّ بُنِي في جهة أحد القطبين، بذكر بلوغ ذي القرنين إلى موضعه بعد بلوغ مغرب الشمس مطلعها، وليس ذلك إلا جهة الشمال، أو جهة الجنوب، ولا يعترض على هذا القول بصعوبة الوسائل الموصلة إلى أحد القطبين؛ فإن حالة مدنِيّة ذلك العصر ظن، وحالة الأرض فيها غير معروفة لنا الآن، فنبني عليها اعتراضًا كهذا.

فما يدرينا أن الاستطراقَ إلى أحد القطبين، أو كليهما، كان في زمن ذي القرنين سهلًا! فكم من أرضٍ يابسةٍ فاضت عليها البحار، فغمرتها بطول الزمان، وكم من أرض انحسر عنها الماء، فصارت أرضًا عامرة متصلةً بغيرها أو منفردةً (جزيرةً). وكم من مدينة طُمِسَتْ حتى لا يُعْلَمَ عنها شيء .

ومِن المعلوم الآن من شؤون المدنيات القديمة بالمشاهدة أو الاستدلال، ما يجهل بعض أسبابه كالأنوار والنقوش

والألوان وجر الأثقال عند المصريين القدماء». انتهى من **«تفسير المنار» (١١/ ٢٧٤).**

يقول العلامة الشنقيطي: «فقولكم: لو كانوا موجودين - أي يأجوج ومأجوج - وراء السد إلى الآن لاطلع عليهم الناس غير صحيح؛ لإمكان أن يكونوا موجودين، والله يخفي مكانهم على عامة الناس، حتى يأتي الوقت المحدد لإخراجهم على الناس...». أهـ «أضواء البيان» (١٩/ ٣٠٤).

ويقول أيضًا رحمه الله: «اعلم أولًا أنا قد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك: أنه إن كان لبعض الآيات بيان من القرآن لا يفي بإيضاح المقصود، وقد بينه النبي ﷺ فإنا نتمم بيانه بذكر السنة المبينة له، وقد قدمنا أمثلة متعددة لذلك.

فإذا علمت ذلك فاعلم أن هاتين الآيتين لهما بيان من كتاب، أوضحته السنة، فصار بضميمة السنة إلى القرآن بيانًا وافيًا بالمقصود، والله جل وعلا قال في كتابه لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فإذا علمت ذلك فاعلم أن هذه الآية الكريمة، وآية الأنبياء قد دلتا في الجملة على أن السد الذي بناه ذو القرنين دون يأجوج ومأجوج، إنما يجعله الله دكًا عند

مجيء الوقت الموعود بذلك فيه، وقد دلتا على أنه بقرب يوم القيامة؛ لأنه قال هنا: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾... الآية [الكهف: ٩٨ - ٩٩]، وأظهر الأقوال في الجملة المقدرة التي عوض عنها تنوين يومئذ من قوله: ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖ﴾: أنه يوم إذ جاء وعد ربي بخروجهم وانتشارهم في الأرض، ولا ينبغي العدول عن هذا القول؛ لموافقته لظاهر سياق القرآن العظيم.

وآية الأنبياء المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾... الآية [الأنبياء: ٩٦ - ٩٧]؛ لأن قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾، وإتباعه لذلك بقوله: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: يدل في الجملة على ما ذكرنا في تفسير آية الكهف التي نحن بصددها.

وذلك يدل على بطلان قول من قال: إنهم روسية، وأن السد فُتِح منذ زمان طويل!».

فإذا قيل: إنما تدل الآيات المذكورة

في الكهف والأنبياء على مطلق اقتراب يوم القيامة من دك السد، واقترابه من يوم القيامة لا ينافي كونه قد وقع بالفعل، كما قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ ... الآية، وقال: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾، وقال النبي ﷺ: «ويل للعرب، من شر قد اقترب، فُتِح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها»... الحديث.

وقد قدمنا في سورة المائدة، فقد دلَّ القرآن والسنة الصحيحة على أن اقتراب ما ذكر لا يستلزم اقترانه به، بل يصح اقترابه مع مهلة، وإذًا فلا ينافي دكَّ السد الماضي المزعوم، الاقتراب من يوم القيامة، فلا يكون في الآيات المذكورة دليل على أنه لم يدكَّ السد إلى الآن؟

فالجواب هو ما قدمنا، أن هذا البيان بهذه الآيات ليس وافيًا بتمام الإيضاح إلا بضميمة السنة له، ولذلك ذكرنا أننا نتمم مثله من السنة؛ لأنها مبينة للقرآن [ثم ساق الأحاديث السابقة، ثم قال]:

وهذا الحديث الصحيح قد رأيت فيه تصريح النبي ﷺ: بأن الله يوحي إلى عيسى ابن مريم خروج يأجوج ومأجوج بعد قتله الدجال، فمن يدّعي أنهم روسية، وأن السد قد اندك

منذ زمان، فهو مخالف لما أخبر به النبي ﷺ مخالفةً صريحةً لا وجه لها.

ولا شك أن كل خبر ناقض خبر الصادق المصدوق ﷺ فهو باطل؛ لأن نقيض الخبر الصادق كاذب ضرورة كما هو معلوم، ولم يثبت في كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ شيء يعارض هذا الحديث الذي رأيت صحة سنده، ووضوح دلالته على المقصود.

والعمدة في الحقيقة لمن ادعى أن يأجوج ومأجوج هم روسية، ومن ادعى من الملحدين أنهم لا وجود لهم أصلًا: هي حجة عقلية في زعم صاحبها، وهي بحسب المقرر في الجدل قياس استثنائي، مركب من شرطية متصلة لزومية في زعم المستدل به، يستثنى فيه نقيض التالي، فينتج نقيض المقدم، وصورة نظمه أن يقول:

لو كان يأجوج ومأجوج وراء السد إلى الآن، لاطلع عليهم الناس؛ لتطور طرق المواصلات، لكنهم لم يطلع عليهم أحد.

ينتج: فهم ليسوا وراء السد إلى الآن؛ لأن استثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم كما هو معلوم.

وبعبارة أوضح لغير المنطقي؛ لأن نفي اللازم يقتضي نفي الملزوم، هذا هو عمدة حجة المنكرين وجودهم إلى الآن وراء السد.

ومن المعلوم أن القياس الاستثنائي المعروف بالشرطي، إذا كان مركبًا من شرطية متصلة واستثنائية، فإنه يتوجه عليه القدح من ثلاث وجهات:

الأولى: أن يقدح فيه من جهة شرطيته؛ لكون الربط بين المقدم والتالي ليس صحيحًا.

الثانية: أن يقدح فيه من جهة استثنائيته.

الثالثة: أن يقدح فيه من جهتهما معًا.

وهذا القياس المزعوم يقدح فيه من جهة شرطيته، فيقول المعترض: الربط فيه بين المقدم والتالي غير صحيح، فقولكم: لو كانوا موجودين وراء السد إلى الآن لاطلع عليهم الناس: غير صحيح؛ لإمكان أن يكونوا موجودين، والله يخفي مكانهم على عامة الناس، حتى يأتي الوقت المحدد لإخراجهم على الناس.

ومما يؤيد إمكان هذا ما ذكره الله تعالى في سورة المائدة من أنه جعل بني إسرائيل يتيهون في الأرض أربعين سنة، وهم في فراسخ قليلة من الأرض، يمشون ليلهم ونهارهم ولم يطلع عليهم الناس حتى انتهى أمد التيه؛ لأنهم لو اجتمعوا بالناس لبيَّنوا لهم الطريق.

وعلى كل حال، فربك فعال لما يريد، وأخبار رسوله ﷺ الثابتة عنه صادقة.

وما يوجد بين أهل الكتاب مما يخالف ما ذكرنا، ونحوه من القصص الواردة في القرآن والسنة الصحيحة، زاعمين أنه منزل في التوراة أو غيره من الكتب السماوية: باطل يقينًا لا يعول عليه؛ لأن الله جل وعلا صرح في هذا القرآن العظيم - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - بأنهم بدلوا وحرفوا وغيروا في كتبهم. بخلاف هذا القرآن العظيم، فقد تولى الله جل وعلا حفظه بنفسه، ولم يكِلْه إلى أحد حتى يغير فيه أو يبدل أو يحرف». **انتهى باختصار من «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» للإمام الشنقيطي (٤/ ١٩٧ - ٢٠٤)**

ويقول الشيخ حمود التويجري رحمه الله: «ومن العصريين من يزعم أن يأجوج ومأجوج هم جميع دول الكفر [فذكر الأدلة السابقة ثم قال]: وفي هذه الأحاديث دليل على أن خروج يأجوج ومأجوج إنما يكون بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وذلك عند اقتراب الساعة كما هو منصوص عليه في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ أي دنا قيام الساعة.

وفي هاتين الآيتين، مع الأحاديث التي تقدم ذكرها أبلغ رد على من زعم أن يأجوج ومأجوج هم دول الكفر في آسيا وأوروبا وأمريكا وغيرها من بلاد المشركين؛ لأن هؤلاء الكفرة لم يزالوا مختلطين بالناس، ولم يكن بينهم وبين الناس سد من حديد يحول بينهم وبين الخروج على الناس.

ومن المعلوم عند كل عاقل أن دول آسيا وأوروبا وأمريكا لم تزل في أماكنها منذ زمان طويل، وأنه ليس بينهم وبين غيرهم سد من حديد يمنعهم من الخروج والاختلاط بغيرهم من الناس.

فصفة يأجوج ومأجوج لا تنطبق على الدول المعروفة

الآن.

وقد تقدم في عدة أحاديث صحيحة أن يأجوج ومأجوج إنما يخرجون بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتل الدجال، وأنهم لا يمكثون بعد خروجهم على الناس إلا مدة يسيرة، ثم يدعو عليهم نبي الله عيسى فيهلكهم الله جميعًا كموت نفس واحدة، فهم بلا شك أمة عظيمة، قد حيل بينهم وبين الخروج على الناس بالسد الذي بناه ذو القرنين، وهذا السد لا يندكُّ إلا إذا دنا قيام الساعة، كما أخبر الله بذلك في كتابه العزيز.

وأما كون السائحين في الأرض لم يروا يأجوج ومأجوج ولا سد ذي القرنين، فلا يلزم منه عدم السد ويأجوج ومأجوج، فقد يصرف الله السائحين عن رؤيتهم ورؤية السد، وقد يجعل الله فوق السد ثلوجًا متراكمة؛ بحيث لا تمكن رؤية السد معها، أو يجعل الله غير ذلك من الموانع التي تمنع من رؤية يأجوج ومأجوج ورؤية السد.

والواجب على المسلم الإيمان بما أخبر الله به في كتابه عن السد ويأجوج ومأجوج، وما صح عن النبي ﷺ في ذلك، ولا يجوز للمسلم أن يتكلف ما لا علم له به، ولا يقول بشيء من

أقوال المتكلفين المتخرصين، بل ينبذها وراء ظهره، ولا يعبأ بشيء منها.

والمقصود ههنا بيان أن إنكار السد، ويأجوج ومأجوج بالكلية: كفر بلا شك، لما في ذلك من تكذيب ما أخبر الله به ورسوله ﷺ عن السد ويأجوج ومأجوج.

وأما الاعتراف بوجود السد في قديم الزمان، والقول بزواله بعد زمان النبي ﷺ، وخروج يأجوج ومأجوج واختلاطهم بالناس، فهذا أخفُّ من القول الأول؛ لما فيه من التأويل، ولا ينبغي أن يطلق الكفر على قائله، ولكن لا يجوز اعتقاده؛ لأنه قول باطل مخالف لما أخبر الله به في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ عن السد، أنه لا يندك إلا إذا دنا قيام الساعة، وأن خروج يأجوج ومأجوج إنما يكون بعد نزول عيسى وقتل الدجال.

[ثم] إن أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم قد كانوا موجودين في جميع الجهات شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا، وعن أيمان المسلمين وعن شمائلهم ومن خلفهم، من قبل أن يوجد السد، وبعد أن وُجِد، ولم يزالوا كذلك على مرِّ الأزمان، ومع هذا فلم يؤثر عن النبي ﷺ أنه قال إنهم هم

يأجوج ومأجوج، ولم يؤثر ذلك عن أحد من الصحابة ولا التابعين وتابعيهم ولا من بعدهم من العلماء، حتى جاء المتكلفون في آخر القرن الرابع عشر من الهجرة، فزعموا أن يأجوج ومأجوج ما هم إلا أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم!

فهل يقول مسلم عاقل إن المتكلفين أعلم من النبي ﷺ بيأجوج ومأجوج؟!

أو يقول من له أدنى عقل ودين: إن النبي ﷺ وأصحابه ومن بعدهم إلى آخر القرن الرابع عشر من الهجرة، كانوا في غمرة من الجهل ساهون، حتى طلع عليهم نور الهداية والدلالة من أحد المتكلفين القائلين في حقيقة يأجوج ومأجوج بغير علم؟ كلا، لا يقول هذا مسلم عاقل.

وخروج يأجوج ومأجوج إنما يكون بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وقتله الدجال، كما جاء ذلك صريحًا في الأحاديث التي تقدم ذكرها قريبًا عن النواس بن سمعان، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود ، فلتراجع، ففيها أبلغ رد على من زعم أن يأجوج ومأجوج ما هم إلا أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم.

[كما] أن النبي ﷺ أخبر في حديث النواس بن سمعان الذي تقدم ذكره قريبًا أن يأجوج ومأجوج إذا بعثوا، يمر أولهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، وجاء في حديث حذيفة بن اليمان نحو ذلك، وجاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن يأجوج ومأجوج إذا خرجوا يطؤون البلاد، فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه.

وفي هذا أبلغ ردٍّ على من زعم أن يأجوج ومأجوج ما هم إلا أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم؛ لأن الذين قد ملؤوا الأرض شرقًا وغربًا من أمم الكفار، لم يقع منهم شيء مما أخبر به رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فلم يهلكوا ما أتوا عليه، ولم ينقصوا ما عندهم من المياه، فضلًا عن أن يشربوا بحيرة طبرية وينشفوها، مع أن بعضهم كانوا مجاورين لها أزمانًا طويلة». انتهى من **«الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر» (ص: ٣١١ - ٣٢٤).**

فالقضية إذن معلومة عند علماء التاريخ والجغرافيا، وفي كتب بني إسرائيل القديمة، وليست هي قضية غيبية، بل حسية مشاهدة، فهناك قبائل همجية في الشمال الشرقي، خلف سلسلة جبال القوقاز تدعى (يأجوج ومأجوج) اشتهرت بالقتل والسلب والتدمير، تشن غاراتها على الجنوب الغربي،

حيث القبائل الضعيفة البدائية في جنوب جبال القوقاز من خلال مضيق (داريال)، وقد اشتكت هذه القبائل إلى ذي القرنين وطلبت منه أن يبني سدًا في هذا المضيق، وهو الطريق الوحيد بين سلسلة الجبال الشامخ ارتفاعها، فوافق على طلبهم، وأمرهم بمساعدته، فبنى السد من الحديد والحجارة، حتى ساوى بين جهتي الجبلين المتقابلين، ثم أذاب عليه النحاس، وأحكم إغلاق المضيق، واستغرق عمله هذا عشر سنوات، وبهذا توقفت الهجمات الوحشية، وكان هذا السد رحمة من الله بهذه القبائل الضعيفة تحققت على يد هذا الملك الصالح.

هذا هو الجانب المحسوس المعلوم بالأدلة النقلية والعقلية والحسية في هذه القضية.

هل يأجوج ومأجوج تحت الأرض؟

يعتمد أنصار هذا القول على تصحيح حديث أبي هريرة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَسَنَحْفِرُهُ غَدًا»... الحديث.

وفي الحديث السابق لفظين مهمين هما «يحفرون» و«حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس»، معنى ذلك أنهم يحفرون من تحت السد الذي ردمه عليهم ذو القرنين، وأنهم كل يومٍ يحفرون حتى إذا كادوا أن يروا نور الشمس رجعوا، فينسد عليهم الردم مرةً أخرى.

وفي الحقيقة أن هذا القول لا يخالف سابقه من كون المسألة فيها جانب غيبي، وأن قوم يأجوج ومأجوج ليسوا هم الصين ولا الترك ولا الروس.

ولكن هذه الرؤية تأخذنا إلى مبحثٍ آخر تمامًا ألا وهو مناقشة نظرية «الأرض المجوفة»، وهل تسكن كائنات تحت الأرض أم لا؟! هذه النظرية كانت تُعد من أساطير الماضي، لكن أعيدَ طرحها وبقوة في السنوات الأخيرة.

حقيقة علمية أم خيال علمي؟!

طرح العالم الفلكي إدموند هالي بدأت هذه النظري،ة فكرة الأرض المجوفة التي تتكون من هيكل أجوف على بُعد نحو ٨٠٠ كم من الطبقات المركزية ونواة متمركزة، وقد ألفت كتب وبحوث عديدة حول نظرية الأرض المجوفة لا تحصى

منها كتاب «خيال الأقطاب»، وتعددت الروايات الأسطورية تبعًا لذلك، منها الرواية العالمية «رحلة إلى مركز الأرض» لمؤلفه الروائي الفرنسي جول فيرن.

ثم عادت هذه النظرية وبقوة مرةً أخرى مؤخرًا، بل تكاد أن تكون حقيقة علمية، فقد تم اكتشاف بحر كبير تحت طبقة الوشاح (الطبقة الثالثة) وهذا البحر هو أكبر من المحيطات كلها.

نشرت الدراسة جريدة «الديلي ميل»، عن نخبة من علماء الجيولوجيا في العالم، العام الماضي تحت عنوان «أكبر خزان مياه تحت الأرض».

وهذا رابط الديلي ميل البريطانية:

https://www.dailymail.co.uk/sciencetech/article-2579584/The-vast-reservoir-hidden-Earths-crust-holds-water-ALL-oceans.html

وقد يرى بعض الباحثين أن هناك تطابقًا عجيبًا بين أحاديث الرسول وبين هذه الدراسات، فقد ذكر في حديث

عن الرسول ﷺ من رواية عبدالله بن عمرو: «إن تحت البحر نارًا، وتحت النار بحرا»ً.

فإن تحت البحر براكين، وتحت البراكين هذا البحر العميق! المكتشف حديثًا.

كما قامت بعثة أمريكية بدراسة القطبين، وبعد عدة مشاهدات اكتشفت البعثة أن الأرض مجوفة من القطبين، وأن هناك أراضي واسعة ومساحات شاسعة دافئة يغمرها الضوء، وأنه يعيش داخلها كائنات حية!

وقد نشر نتائج الرحلتين التي قامت بها البعثات الأمريكية عامي ١٩٤٧ و١٩٥٦م والتي اكتشفت فيها الأراضي غير المعروفة، وقطعت ما يقارب ١٧٠٠ ميل في الأولى و٢٣٠٠ ميل في الثانية، والأولى في تجويف القطبية الشمالية، والأخرى في الجنوبية، وبعد نشر هذه النتائج أكد كثير من العلماء توصُّل مستكشفين روس لقاع أعمق كهوف العالم في جمهورية أبخازيا المستقلة عن جورجيا.

ومن الغرائب الطبيعية كهف كروبيرا العميق الذي استكشفه فريق من العلماء، ووجدوا أنه يصل إلى جزء كبير من باطن

الأرض.

وقد استغرقت مهمة الوصول لقاع كهف كروبيرا أسبوعًا كاملًا، وهو الكهف الذي يُعرف باسم «إفرست الكهوف»، حيث يصل عمقه إلى ٢٢١٢ مترًا. ويظن أنه يصل ببحر الظلمات.

وكشف فريق الاستكشاف الذي يقوده الثنائي الروسي بافل ديميدوف وإيليا توربانوف، عن اكتشافهم فصائل نادرة من الكائنات الحية لم تشاهد من قبل في هذا التجويف العميق.

ووفقًا لما نشرته وكالة «سبوتنك» الروسية، استغرقت مهمة الوصول لقاع كهف كروبيرا أسبوعًا كاملًا، وهو الكهف الذي يُعرف باسم «إفرست الكهوف»، حيث يصل عمقه إلى ٢٢١٢ مترًا.

وكشف فريق الاستكشاف الذي يقوده الثنائي الرسوي بافل ديميدوف وإيليا توربانوف، عن اكتشافهم فصائل نادرة من الكائنات الحية لم تشاهد من قبل في كهف.

وتم اكتشاف الكهف عام ١٩٦٨، ونجح الباحثون الأربعة في

الوصول لقاع الكهف، مستعينين بحمولة بلغ وزنها ٢٠ كيلوجرامًا تحتوي على الطعام والمعدات والمصابيح.

قال باول ديميدوف: «وجدنا في الأسفل مفاجأة حقيقية، وجدنا حياة كاملة تحت الأرض على خلاف توقعاتنا. وجدنا العديد من الكائنات الحية كان معظمها من العوالق والحشرات الزاحفة وأشباه العقارب، والتي تأقلمت مع الحياة في الأعماق لعشرات الملايين من السنين».

وأوضح الباحثون أنهم لا يستبعدون ارتباط الكهف بالبحر الأسود؛ لكونه أعمق من مستوى سطح المحيط بما يقارب ٣٠٠ متر.



journey to the center of the earth.

هي رواية «جول فيرن» الروائي الفرنسي صاحب الرواية الرائعة رحلة إلى مركز الأرض، والتي تم تلخيصها، وتدريسها للطلبة في المدارس، إلا أن الرواية الأصلية كبيرة الحجم، وتحتوي على أحداث كثيرة، منها أن أبطال الرواية قد اكتشفوا بحرًا وحياةً تحت البراكين.

وكان للبروفيسور ليدن بروك العالم الجيولوجي الكبير، وآكسل، وصاحبهم هانز! اليد الطولى في ذلك.

قد يظن البعض للوهلة الأولى أن الرواية ضرب من الخيال العلمي! لكن الباحثين الآن قد أعادوا النظر في ذلك.

ومن جانبه، حاول العالم الجيولوجي الأمريكي فيليب شنايدر المكلف بحفر أنفاق دولسي العميقة - أن يفضح المخطط الأمريكي في الوصول لعالم ما تحت الأرض، فوجدوه مقتولًا في بيته.

في عام ١٩١٣ كتب "غاردنر" كتابه الذي يبرهن فيه ودون أي شك أن الأرض هي عبارة عن كرة مجوفة، وكان هناك أدلة هائلة تضمَّنها هذا الكتاب، وتتكون من مجموعة من الدراسات الفلكية والاكتشافات القطبية المتراكمة، ووصل عدد صفحات هذا الكتاب إلى ٤٥٠ صفحة في عام ١٩٢٠، وكان عنوان الكتاب "رحلة إلى داخل الأرض" أو "هل حقًا تم اكتشاف القطبين؟".

ورغم أن السيد ويليام ريد كتب كتابًا عنوانه «شبح القطبين»، وظهر في عام ١٩٠٦ في نيويورك، وكان يتألف من

٢٨١ صفحة ونشرته شركة Walter S.Rockey، وكان ذلك قبل نشر الكتاب، إلا أن هذا الأخير لم يعره اهتمامًا، ونقض نظرية السيد «ريد»؛ لأنه فشل في تفسير القوة النابذة التي أدت إلى التشكيل العظيم للأرض، ولم يكن قادرًا على تفسير مصدر الحرارة والإنارة الموجودة داخل الأرض، بينما «غاردنر» وجد هذا المصدر، ويقوم الاختلاف بين النظريتين على أن «ريد» كان يعتمد ويشكل قاطع في أبحاثه على الاكتشافات القطبية. أما جرندر فكان يعتمد أكثر على علم الفلك، والبرهان على هذه النظرية سوف يكون من خلال تجارب حقيقية لأشخاص كانوا فعلًا هناك. في مواقع التلسكوبات الضخمة، بالإضافة إلى مناطق القطبين الغامضة.

أولًا، إليكم النظرية التي اعتمدها مكتب براءة الاختراع الأمريكي

في البداية، منذ نحو ٤ أو ٥ مليارات سنة مضت، عندما كانت الأرض عبارةً عن كتلة دوامة من الغاز الساخن جدًا، بدأت تتقلّص تدريجيًا؛ لأنها أخذت تبرد. وبما أن قوانين الفيزياء تقول إن الغازات تتكثف عندما تبرد، فإن هذا المحيط الدائر من الغازات بدأ يتفق مع استمرار فقدان الحرارة. وبقيت قوى الجنب المركزي تتقلص من قطر هذه

الكرة الدائرة.

صدر في عام ١٩٠٦ كتاب بعنوان «شبح القطبين» Phantom of the Poles للكاتب «ويليام ريد»، وكتاب «رحلة إلى داخل الأرض» A Journey to the Earth's Interior للكاتب «مارشل به جراندر».

كان لهذين الكتابين تأثير كبير على جميع الكتاب المتحمسين لنظرية الأرض المجوفة. فبالاعتماد على أقوال المستكشفين الأوائل للمناطق القطبية، استنتج كل من الكاتبين أنه يوجد في القطبين الشمالي والجنوبي مداخل كبيرة إلى جوف الكرة الأرضية، افترض الكاتب «ريد» أن سماكة القشرة الأرضية تبلغ ١٠٠٠ ميل، وأن الفتحة القطبية الجنوبية يبلغ قطرها ١٥٠٠ ميل، بينما الفتحة الشمالية يبلغ قطرها ١٠٠٠ ميل. أما "غاردنر" فاعتقد بأن القشرة الأرضية تبلغ سماكتها ٨٠٠ ميل، وكلا الفتحتين الشمالية والجنوبية، يبلغ قطرهما ١٤٠ ميلًا.

من أين يأتي نور الشمس إلى الداخل؟!

يفترض «ريد»، كما فعل «سيمز» من قبله أن نور

الشمس المتسرب إلى جوف الأرض من خلال الفتحتين يجعله كافيًا لإنارة الداخل، بينما «غاردنر» اتبع فكرة «أويلر» عن وجود

في العام ١٩٩٨م، صدر كتاب بعنوان «الكواكب المجوفة» Hollow Planets للكاتب «جان لامبرتشت»، الذي حاول تناول الموضوع من منظور علمي، واعتقد بوجود مؤامرة كبرى لقمع حقائق كثيرة بخصوص الفتحات الموجودة في الأقطاب، والتي يظن بأن قطرها يبلغ نحو ٢٠٠ ميل. وقد أشار إلى أن صور الأقمار الصناعية عن المناطق القطبية يتم تعديلها قبل نشرها للعامة. وقد أشار إلى صورة تبين وجود نوع من الفراغ في القطب الشمالي.

يدّعي كل الأشخاص الذين يؤمنون بأن الأرض مجوفة من الداخل أن المياه تتدفق من مدخل القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي، علمًا بأن وسط الكوكب يضم بحرا ً شاسعًا، وشمسًا مركزية داخلية تؤمّن الضوء والحرارة.

جول فيرن تبنّى المشهد نفسه، غير أن المعارضة الوحيدة التي واجهها المستكشفون هي الزواحف التي عثروا عليها في مدينة أطلانتس الواقعة في قعر البحار، ويقول البعض

إن الديناصورات تمكنت من النجاة من الطوفان الذي اجتاح الأرض منذ ٦٥ مليون سنة، بعد أن اختبأت في داخل الأرض، في مناطق القطب الجنوبي.

من جهته، أيَّد العالم توم ريتس، هذا الاحتمال بعد أن اكتشف عام ١٩٨٧ بقايا ديناصور قطبي محفورة في نفق جنوبي فيكتوريا، في بقعة تعرف باسم «خليج الديناصور»، ويقال إن الضوء والحرارة في داخل الأرض مردُّهما إلى شمس داخلية.

في هذا الإطار قال مارشال ب. غاردنر، وهو من أبرز المدافعين عن نظرية الأرض المجوفة (Hollow Earth): «إن هذه الشمس هي وليدة الجزء المركزي الناري الذي كانت تدور حوله الأرض وهي في طور التكوين.

وإن كانت الأرض مجوفة، فالكواكب الأخرى مجوفة أيضًا؛ لأنها تكونت بالطريقة عينها، وخضعت للقوانين ذاتها، فكم من الحضارات تعيش داخل هذه الكواكب، بينما الإنسان يبحث عن الحياة على سطحها فقط؟».

من الأسئلة الأخرى التي طرحها مؤيدو نظرية صلابة

الأرض أذكر ما يلي:

لماذا تتشكل جبال الجليد من المياه العذبة، بينما لا نجد في القطبين سوى مياه البحار؟ لماذا لا تنمو النباتات إلا في داخل هذه الجبال؟ لماذا تبين للرواد الذين تجرأوا على اجتياز القطب المغنطيسي أن الطقس يزداد دفئًا والبحار تخلو من الجليد؟ لماذا تهاجر بعض الحيوانات والطيور التي تعيش في مناطق القطب الشمالي شمالًا في فصل الشتاء؟

وهكـذا نعلم أن نظرية الأرض المجـوفة قد تناقلها بعض علماء الفيزياء في القرن المنصرم، ولم يستبعدوها، إلا أنها ما زالت لا ترقى إلى حد الإثبات العلمي القاطع.

هل توجد أدلة شرعية على الأرض المجوفة؟

من المقرَّر عندنا أن الأرض سبع أرَضِين مثل السماء سبع سماوات، كما دلَّت الآيات القطعية على ذلك.

من المقرَّر أيضًا أن نقول إن وجود حياة تحت الأرض ما زالت في قيد النظرية، ولا توجد أدلة علمية ولا شرعية نطمئن إليها يمكن القطع بها في المسألة، وفي الوقت نفسه

النظرية لا يوجد ضدّها دليل شرعي يقطع بنقضها.

قال القرطبي في تفسيره: ذكر تعالى أن السماوات سبع، ولا خلاف في أنها كذلك، بعضها فوق بعض، كما دلَّ على ذلك حديث الإسراء وغيره، ولم يأتِ للأرض في التنزيل عدد صريح لا يحتمل التأويل إلا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، وقد اختلف في المثلية؛ هل تكون في العدد واللفظ؟ لأن الكيفية والصفة مختلفة بالمشاهدة والأخبار، والجمهور على أنها سبع أرَضين طباقًا، بعضها فوق بعض، بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والسماء، وفي كل أرض سكان من خلق الله. وعن الضحاك: أنها سبع أرَضين، ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السماوات. قال القرطبي: والأول أصح؛ لأن الأخبار دالّة عليه. ومن هذه الأخبار ما رواه النسائي وغيره عن النبي ﷺ قال: لو أن السماوات السبع وعامرهنَّ، والأرَضين السبع جُعِلن في كفةٍ، ولا إله إلا الله في كفة، لمالت بهنَّ لا إله إلا الله.

وقال ابن كثير في تفسيره: «ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم، فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزع، وخالف القرآن والحديث بلا مستند.

أما ما رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ﴾ [الطلاق: ١٢] قال: سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدمكم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى. فقد تكلم فيه أهل العلم. قال البيهقي بعده: هو شاذ بمرة. وقال السيوطي في الحاوي: هذا الكلام من البيهقي في غاية الحسن، فإنه لا يلزم من صحة الإسناد صحة المتن، لاحتمال صحة الإسناد مع أن في المتن شذوذًا أو علة تمنع صحته. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»: هو محمول - إن صح عن ابن عباس - على أنه أخذه من الإسرائيليات.. وذلك وأمثاله إذا لم يصح سنده إلى معصومٍ فهو مردود على قائله».

وقال صديق حسن خان في «أبجد العلوم»: «وقد وقعت الزلازل والقلاقل لأجل ذلك الأثر لهذا العهد بين أبناء الزمان بما لا يأتي بفائدة، ولا يعود بعائدة.. ثم من استدل بهذا الأثر على إمكان وجود مثله ﷺ، وكونه داخلًا تحت القدرة الإلهية فقد أطال المسافة، وأبعد النجعة، وأتى بما هو أجنبي عن المقام، وخارج عن النزاع».

يقول الماوردي رحمه الله: «وعلى أنها سبع أرَضين بعضها

فوق بعض.. تختص دعوة أهل الإسلام بأهل الأرض العليا.. ولا تلزم من في غيرها من الأرضين، وإن كان فيها من يعقل من خلق مميِّز».. انظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي.

يقول تعالى مخبرًا عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثًا على تعظيم ما شرع من الدين القويم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ كقوله تعالى إخبارًا عن نوح أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾؟ وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي سبعًا أيضًا كما ثبت في الصحيحين: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرَضين»، وفي صحيح البخاري: «خسف به إلى سبع أرضين»، وقد ذكرت طرقه وألفاظه وعزوه في أول «البداية والنهاية» عند ذكر خلق الأرض ولله الحمد والمنة، ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع وخالف القرآن والحديث بلا مستند، وقد تقدم في سورة الحديد عند قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ ذكر الأرَضين السبع وبعد ما بينهن، وكثافة كل واحدة منهن خمسمائة عام.

وهكذا قال ابن مسعود وغيره، وكذا في الحديث الآخر:

«ما السماوات السبع وما فيهن وما بينهن، والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة».

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾، قال: لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم، وكُفْركم تكذيبُكم بها.

وحدثنا ابن حميد: حدثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القمي الأشعري عن جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾... الآية. فقال ابن عباس: «ما يؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر؟».

وقال ابن جرير: حدثنا عمرو بن علي ومحمد بن المثنى قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ قال عمرو: قال في كل أرض مثل إبراهيم، ونحو ما على الأرض من الخلق.

وقال ابن المثنى في حديثه: في كل سماء إبراهيم، وروى البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا فقال: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أحمد بن يعقوب، حدثنا عبيد بن غنام النخعي، أنبأنا علي بن حكيم، حدثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ قال: سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى.

ثم رواه البيهقي: من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ قال: في كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام، ثم قال البيهقي: إسناد هذا عن ابن عباس صحيح، وهو شاذ بمرة لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعًا والله أعلم.

قال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي، في كتابه «التفكر والاعتبار»: حدثني إسحاق بن حاتم المدائني، حدثنا يحيى بن سليمان عن عثمان بن أبي دهرس قال: بلغني أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم

سكوت لا يتكلمون فقال: «ما لكم لا تتكلمون؟»، فقالوا: نتفكر في خلق الله عز وجل قال: «فكذلك فافعلوا، تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا فيه؛ فإن بهذا المغرب أرضًا بيضاء نورها ساحتها - أو قال ساحتها نورها - مسيرة الشمس أربعين يومًا بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قط»، قالوا: فأين الشيطان عنهم؟ قال: «ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق؟»، قالوا: أمن ولد آدم؟ قال: «لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق؟». وهذا حديث مرسل وهو منكر جدًا.

وعثمان بن أبي دهرس ذكره ابن أبي حاتم: في كتابه، فقال: روى عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص وعنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سليم الطائفي وابن المبارك سمعت أبي يقول ذلك.

أيضًا يقول الجمهور من علماء التفسير (كما نقل عن الماوردي) عن هذه الآية:

«أي سبع أرضين طباقًا، بعضها فوق بعض، بين كل أرض وأرض مسافة بين السماء والسماء، وفي كل أرض سكان من خلق الله».

وقال الزحيلي في تفسيره: ولا خلاف في أن السماوات سبع، بعضها فوق بعض، كما دل حديث الإسراء وغيره، واختلفوا في الأرض، فقال الجمهور: إنها سبع أرضين طباقًا، بعضها فوق بعض، ولعل ذلك طبقات الأرض؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي سبعًا من الأرضين، ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق أو فرجة، وللأحاديث الصحيحة المتقدمة مثل الحديث الذي رواه أحمد والشيخان عن عائشة وسعيد بن زيد: من ظلم قيد شبر من الأرض، طوقه من سبع أرضين، وقيل: إنها أرض واحدة، وأن المماثلة ليست في العدد، وإنما هي في الخلق والإبداع والإحكام، والرأي الأول أصح وأظهر، كما قال القرطبي وغيره من كبار المفسرين القدامى والمعاصرين؛ لأن الأخبار دالة عليه في الترمذي والنسائي وغيرهما. أهـ

وقد ضعف ابن كثير كون المراد سبعة أقاليم، حيث قال في تفسيره: «ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع، وخالف القرآن والحديث بلا مستند». أهـ

وقد صرح بعض المفسرين بوجود خلق في تلك الأرضين، وذكر بعضهم وجود ناس بتلك الأراضي، ولم نطّلع في ذلك

على نص صحيح، وإذا لم يوجد نص صحيح فيكون ذلك مما يعتبر غيبًا لنا لا يمكن الجزم بثبوته من غير دليل، وقد وردت بعض الآثار الضعيفة في ذلك؛ منها ما رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم: ٨٣٢) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[الطلاق: ١٢] قال: سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى. قال البيهقي بعده: هو شاذ بمرة.

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»: هو محمول - إن صح عن ابن عباس - على أنه أخذه من الإسرائيليات.. وذلك وأمثاله إذا لم يصح سنده إلى معصومٍ فهو مردود على قائله. أهـ.

وأغلب ما ذكره السائل ذكره الألوسي نقلًا عن ابن الوردي، ولكنه لا يمكن الجزم بصحته؛ نظرًا لعدم وجود سند فيه، فالأولى الإيمان بما ثبت من كون الأرضين سبعًا وعدم الخوض فيما لم يثبت مع كونه لا يترتب على الجهل به شيء، وقد قال الشيخ عطية سالم في شرح حديث «طوقه من سبع أرضين»: والتحقيق عندهم أن عدد الأرضين سبع متلاصقة وليست منفصلة، وبعض المحققين يقول: في هذا

الحديث إشعار بأن الأرض على تقدير أنها سبع أرضين متلاصقة، وبعضهم يقول: كقشر البصل كل واحدة فوق الثانية، وبعضهم يقول: إن الأرضين السبع هي القارات اليابسة مع الماء، ونسبة اليابس مع الماء مع الأرض الربع، وثلاثة الأرباع ماء، المحيطات وهو بحر واحد، وإن كانوا يسمونها البحر الأحمر، البحر الأبيض، المحيط الأطلسي، المحيط الأطلنطي، المحيط الهادئ، ولكن عند التحقيق فكلها بحر واحد... والآن ماذا يقول السادة المشايخ بعد مجيء مراكب الفضاء، وبعد الدوران حول الأرض عدة مرات؟ هل هناك أرضين تحت الدورة هذه؟ وهل الأرضون السبع لها سماوات سبع ولها سبع شموس؟ أقول: إن هذه النقطة بالذات شغلت العلماء، وأوجدت تلك الأقوال والأفكار، ونحن نقول: يقول الله سبحانه: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١]، وجاء الحديث: «ولم تدرك عقولنا كنهها»، إذًا: ما لم يشهدنا كيف خلق الأرض، نقول: آمنا بالله، وبما جاء عن الله على مراد رسول الله، وآمنا برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله، أما كونها سبع أرضين بعضها منطبق على بعض فالذين درسوا قليلًا من الجغرافيا يعلمون أن جوف الأرض منصهر، وأن البراكين التي تظهر ما هي إلا من انصهار المعادن والأجرام التي في باطن الأرض وتتموج، وإذا وجدت ضعفًا في قشرة الأرض

الخارجية خرج البركان حممًا يسيل مثل الماء، إذًا: باطن الأرض الله أعلم به ويكفي، كما يقولون في أحاديث الوعيد أن تمرر كما جاءت، ولا يفصل فيها. والله تعالى أعلم. أهـ

وفي النهاية..

هل كان ذو القرنين هو الإسكندر المقدوني، أم كورش الفارسي، أم الملك العربي الصعب بن مرثد؟ وهل كان قوم يأجوج ومأجوج هم أهل الصين وآسيا، أم شعوبٌ غيرهم؟!

إن أخبار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج إنما هي من الغيبيات التي نؤمن بها كما أخبر بها القرآن والسنة النبوية

وقد اجتهدنا في كتابنا هذا في تسليط الضوء على أخبار ذي القرنين في الأمم السابقة وعلى أهم الشخصيات التي قيل في حقها إنها «ذو القرنين».

ويبقى كل احتمال محل وجاهة عند قائله..

ورددنا على بعض ما أثير في حق القرآن من كونه يأتي

الأساطير.. وأثبتنا بشيء من الإيجاز أن خبر ذي القرنين والردم موجود عند أهل الأمم السابقة.

فأيًا ما كان الخبر، فما علينا إلا التصديق بشخصية ذي القرنين وخبره المجمل في القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وكذلك القول في يأجوج ومأجوج هل خرجوا قديمًا في الغزو التتري ولهم خروج آخر في آخر الزمان؟ أم لم يخرجوا حتى الآن؟

أظن أن الأيام القادمة ومن يشهدها، كفيلة بإثبات صحة أحد هذين القولين من عدمه!

مسودات

ذو القرنين المذكور في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٣] كان ملكًا من ملوك الأرض وعبدًا صالحًا مسلمًا، طاف الأرض يدعو إلى الإسلام ويقاتل عليه من خالفه، فنشر الإسلام وقمع الكفر وأهله وأعان المظلوم وأقام العدل.

صح عن مجاهد أنه قال: «ملك الأرض مشرقها ومغربها أربعة نفر: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود وذو القرنين، والكافران: بختنصر ونمرود بن كنعان، لم يملكها غيرهم» رواه الطبري في «التفسير» (٥/٤٣٣).

قال ابن كثير رحمه الله:

«ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغارب، وملك الأقاليم وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط. والصحيح: أنه كان ملكًا من الملوك العادلين» انتهى من «البداية والنهاية» (٢ /١٢٢).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

«وَقَدْ اُخْتُلِفَ فِي ذِي الْقَرْنَيْنِ فَقِيلَ كَانَ نَبِيًّا، وَقِيلَ: كَانَ مَلَكًا مِنْ الْمَلَائِكَة، وقيل لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا وَلَا مَلَكًا، وَقِيلَ: كَانَ مِنْ الْمُلُوك. وَعَلَيْهِ الْأَكْثَر» انتهى بتصرف.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

«هو ملك صالح كان على عهد الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويقال إنه طاف معه بالبيت، فالله أعلم». انتهى من «فتاوى نور على الدرب» لابن عثيمين (٤/ ٦٠).

وأما ما رواه الحاكم (١٠٤) والبيهقي (١٨٠٥٠) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ أَنَبِيًّا كانَ أَمْ لاَ، وَمَا أَدرِي ذَا الْقَرْنَيْنِ أَنَبِيًّا كانَ أَمْ لاَ، وَمَا أَدْرِي الحُدُودُ كَفَّارَاتٌ لأَهْلِهَا أَمْ لاَ»، فقد أعلّه الإمام البخاري رحمه الله وغيره.

قال الإمام البخاري رحمه الله: «وقال لي عبد الله بن محمد حدثنا هشام قال حدثنا معمر عن ابن أبي ذئب عن الزهري أن رسول الله ﷺ قال: «ما أدرى أعُزَير نبيًا كان أم لا، وتُبّع لعينًا كان أم لا، والحدود كفارات لأهلها أم لا؟».

وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن سعيد عن أبى هريرة عن النبي ﷺ، والأول أصح، [يعني: المرسل]، ولا يثبت هذا عن النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ قال: «الحدود كفارة». انتهى. «التاريخ الكبير» (١/١٥٣).

وقَالَ الدَّارَقُطْنِيّ: تفرد بِهِ عبد الرَّزَّاق، وَغَيره أرْسلهُ. «الفتح السماوي»، للمناوي (٣/٩٨٨). وينظر أيضا: «أطراف الغرائب» (٥/١٩٨).

ثانيًا:

أما ما يتوارد على ألسنة بعض من لا علم له بحقائق الأمور أنه الإسكندر المقدوني باني الإسكندرية، الذي غزا الصين والهند وبلاد الترك، وقهر ملك الفرس، واستولى على مملكته: فهو قول باطل مردود، وقد بين ذلك المحققون من أهل العلم:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

«الإسكندر الْيُونَانِيّ كَانَ قَرِيبًا مِنْ زَمَن عِيسَى عليه السلام،

وَبَيْن زَمَن إِبْرَاهِيم وَعِيسَى أَكْثَر مِنْ أَلْفَيْ سَنَة، وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّ الإسكندر الْمُتَأَخِّر لُقِّبَ بِذِي الْقَرْنَيْنِ تَشْبِيهًا بِالْمُتَقَدِّمِ لِسَعَةِ مُلْكه وَغَلَبَته عَلَى الْبِلَاد الْكَثِيرَة، أَوْ لِأَنَّهُ لَمَّا غَلَبَ عَلَى الْفُرْس وَقَتَلَ مَلِكهمْ اِنْتَظَمَ لَهُ مُلْك الْمَمْلَكَتَيْنِ الْوَاسِعَتَيْنِ الرُّوم وَالْفُرْس فَلُقِّبَ ذَا الْقَرْنَيْنِ لِذَلِكَ.

والْحَقّ أَنَّ الَّذِي قَصَّ اللَّه نَبَأَهُ فِي الْقُرْآن هُوَ الْمُتَقَدِّم.

وَالْفَرْق بَيْنهمَا مِنْ أَوْجُهٍ: أَحَدهَا: مَا ذَكَرْته، الثَّانِي: أَنَّ الإسكندر كَانَ كَافِرًا، وَكَانَ مُعَلِّمُهُ أَرَسْطَاطَالِيس، وَكَانَ يَأْتَمِر بِأَمْرِهِ، وَهُوَ مِنْ الْكُفَّار بِلَا شَكّ، الثَّالِث: كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ الْعَرَب، وَأَمَّا الإسكندر فَهُوَ مِنْ الْيُونَان». انتهى باختصار.

وقال ابن كثير رحمه الله:

«ذكر الأزرقي وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل، وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليه السلام.

أما المقدوني اليوناني المصري باني إسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم، فكان متأخرًا عن الأول بدهر طويل، كان هذا

قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة، وكان أرسطاطاليس الفيلسوف وزيره وهو الذي قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم. وإنما نبهنا عليه؛ لأن كثيرًا من الناس يعتقد أنهما واحد، وأن المذكور في القرآن هو الذي كان أرسطاطاليس وزيره، فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير، فإن الأول كان عبدًا مؤمنًا صالحًا وملكًا عادلًا، وأما الثاني فكان مشركًا وكان وزيره فيلسوفًا، وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة. فأين هذا من هذا؟ لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبي لا يعرف حقائق الأمور». انتهى باختصار وتصرف من «البداية والنهاية» (٢ /١٢٢ - ٢٢٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«كان أرسطو قبل المسيح بن مريم عليه السلام بنحو ثلاثمائة سنة، كان وزيرًا للإسكندر بن فيلبس المقدوني الذي غلب على الفرس، وهو الذي يؤرخ له اليوم بالتاريخ الرومي تؤرخ له اليهود والنصارى، وليس هذا الإسكندر ذا القرنين المذكور في القرآن كما يظن ذلك طائفة من الناس، فإن ذلك كان متقدمًا على هذا، وذلك المتقدم هو الذي بنى سد يأجوج ومأجوج، وهذا المقدوني لم يصل إلى السد، وذاك كان مسلمًا

موحدًا وهذا المقدوني كان مشركًا هو وأهل بلده اليونان كانوا مشركين يعبدون الكواكب والأوثان» انتهى «منهاج السنة النبوية» (١/٢٢٠)، وينظر: «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٧١ - ١٧٢)، «إغاثة اللهفان»، لابن القيم (٢/٢٦٣ - ٢٦٤).

فتبين مما سبق أن ذا القرنين المذكور في القرآن كان مسلمًا موحدًا، وكان من العرب،

فمن زعم أنه كان جدًا للفرس، أو كان نبيًا من أنبيائهم على ملتهم ودينهم وطريقتهم، فقد ادعى باطلًا كما بيّنه المحققون من أهل العلم والتاريخ.

والله أعلم

***

روى أبو الشيخ الأصهاني في «العظمة»:

حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الآملي قال: حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا سفيان بن وكيع قال: حدثنا أبي عن معمر بن سام عن أبي جعفر عن أبيه أنه سئل عن ذي القرنين قال: كان ذو القرنين عبدًا من عباد الله - عز وجل - صالحًا، وكان

من الله بمنزلة ضخم، وكان قد ملك ما بين المشرق والمغرب، وكان له خليل من الملائكة يقال له: زيافيل وكان يأتي ذا القرنين يزوره.

فبينا هما ذات يوم يتحدثان إذ قال له ذو القرنين: حدثني كيف كانت عبادتكم في السماء، قال: فبكى، ثم قال: يا ذا القرنين، وما عبادتكم عند عبادتنا في السماء، ملائكة قيام لا يجلسون أبدًا، ومنهم ساجد لا يرفع رأسه أبدًا، وراكع لا يستوي قائمًا أبدًا، ورافع وجهه لا يطرق شاخص أبدًا، يقول: سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح رب ما عبدناك حق عبادتك، قال: فبكى ذو القرنين بكاءً شديدًا، ثم قال: يا زيافيل إني أحب أن أعيش حتى أبلغ من عبادة ربي حق طاعته، قال: وتحب ذلك يا ذا القرنين؟ قال: نعم، قال زيافيل: فإن لله تبارك وتعالى عينًا تسمى «عين الحياة» من شرب منها شربة لم يمت أبدًا حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت، قال ذو القرنين: فهل تعلمون أنتم موضع تلك العين؟ قال زيافيل: لا، غير أنا نتحدث في السماء أن لله ظلمة في الأرض لم يطأها إنس ولا جن، ونحن نظن أن تلك العين في تلك الظلمة.

قال: فجمع ذو القرنين علماء أهل الأرض وأهل دراسة

الكتب وآثار النبوة، فقال: أخبروني هل وجدتم في كتاب الله وفيما عندكم من الأحاديث عن الأنبياء والعلماء قبلكم أن الله تبارك وتعالى وضع على الأرض عينًا سماها «عين الحياة»، قالوا: لا، قال ذو القرنين: فهل وجدتم فيها أن الله تعالى وضع في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جن، قالوا: لا، قال عالم منهم: أيها الملك لِمَ تسأل عن هذا؟ فأخبره بما قاله زيافيل فقال: أيها الملك إني قرأت وصية آدم عليه السلام، فوجدت فيها أن الله تبارك وتعالى وضع في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جان، قال ذو القرنين: فأين وجدتها في الأرض؟ قال: وجدتها على قرن الشمس، فبعث ذو القرنين، فحشر الناس والفقهاء والأشراف والملوك، ثم سار يطلب مطلع الشمس، فسار إلى أن بلغ طرف الظلمة اثنتي عشرة سنة، فإذا الظلمة ليست بليل، وهي ظلمة تفور مثل الدخان فعسكر.

ثم جمع علماء أهل عسكره، فقال: إني أريد أن أسلك هذه الظلمة، فقالوا: أيها الملك إنه قد كان قبلك من الأنبياء والملوك لم يطلبوا هذه الظلمة فلا تطلبها، فإنا نخاف أن يتشعب علينا منها أمر نكرهه، ويكون فيه فساد أهل الأرض، فقال ذو القرنين: لا بد أن أسلكها، فخر العلماء سجودًا، ثم قالوا: أيها الملك كفَّ عن هذا ولا تطلبها، فإنا لو كنا نعلم أنك

إذا طلبتها ظفرت بما تريد، ولم يسخط الله علينا لكان، ولكنّا نخاف المقت من الله تعالى، وأن يتشعب علينا منها أمر يكون فيه فساد أهل الأرض ومن عليها، فقال ذو القرنين: إنه لا بد من أن أسلكها، فقالوا: فشأنك، قال: أخبروني أي الدواب بالليل أبصر، قالوا: البكارة، فأرسل، فجمع له ستة آلاف فرس أنثى بكارة، فانتخب من عسكره ستة آلاف رجل من أهل العقل والعلم، فدفع إلى كل رجل فرسًا، وعقد للخضر - ﷺ - على مقدمته في ألفي رجل، وبقي هو في أربعة آلاف رجل، وقال لمن بقي من الناس من عسكره: لا تبرحوا عسكري اثنتي عشرة سنة، فإن نحن رجعنا إليكم، وإلا فارجعوا إلى بلادكم.

فقال الخضر: أيها الملك إنك تسلك ظلمة لا تدري كم مسيرتها، ولا يبصر بعضنا بعضًا، فكيف نصنع بالظلل إذا أصابتنا، فدفع ذو القرنين إلى الخضر خرزة حمراء فقال: إذا أصابكم الظلل، فاطرح هذه الخرزة إلى الأرض، فإذا صاحت فليرجع أهل الظلال، فسار الخضر بين يدي ذي القرنين يرتحل الخضر وينزل ذو القرنين، وقد عرف الخضر ما يطلب ذو القرنين وذو القرنين يكتم ذلك فبينا الخضر يسير إذ عارضه واد، فظن أن العين في ذلك الوادي، فلما أتى شفير الوادي قال لأصحابه: قفوا ولا يبرحن رجل

منكم من موقفه، ورمى الخضر بالخرزة فإذا هي على حافة العين، فنزع الخضر ثيابه ثم دخل العين، فإذا ماء أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من الشهد، فشرب منه وتوضأ واغتسل، ثم خرج فلبس ثيابه ثم رمى بالخرزة نحو أصحابه فوقعت الخرزة، فصاحت، فرجع الخضر إلى صوت الخرزة وإلى أصحابه، فركب وقال: لأصحابه سيروا بسم الله.

قال: ومرَّ ذو القرنين فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة أربعين يومًا، ثم خرجوا إلى ضوء ليس بضوء شمس ولا قمر أرض خضراء حشاشة، وإذا في تلك الأرض قصر مبني طوله فرسخ في فرسخ، مبوب ليس عليه أبواب، فنزل ذو القرنين بعسكره.

ثم خرج وحده حتى نزل ذلك القصر، فإذا حديدة قد وضع طرفاها على حافتي القصر من هاهنا وهاهنا، فإذا طائر أسود كأنه الخطاف مزموم بأنفه إلى الحديد معلق بين السماء والأرض قال: فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال: من هذا؟ قال: أنا ذو القرنين، قال الطائر: ما كفاك؟ وما وراءك حتى وصلت إلي؟ ثم قال: يا ذا القرنين حدثني، قال: سل ما شئت، قال: هل كثر بناء الجص والآجر؟ قال: نعم، قال: فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ ثم انتفض حتى بلغ ثلث

الحديدة، ثم قال: يا ذا القرنين أخبرني، قال: سل، قال: كثر شهادة الزور في الأرض؟ قال: نعم، فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى بلغ ثلثي الحديدة، قال: يا ذا القرنين حدثني هل كثر المعازف في الأرض؟ قال: نعم، فانتفض الطائر حتى ملأ الحديدة سد ما بين جداري القصر، قال: ففرق ذو القرنين فرقًا شديدًا، قال الطائر: يا ذا القرنين لا تخف، حدثني قال: سل، قال: هل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا الله بعدُ؟ قال: لا، قال: فانتفض الطائر ثلاثًا ثم قال: حدثني يا ذا القرنين، قال: سل، قال: هل ترك الناس الصلاة المكتوبة بعدُ؟ قال: لا، فانتفض ثلاثًا، ثم قال: حدثني يا ذا القرنين، قال: سل، قال: هل ترك الناس الغسل من الجنابة بعدُ؟ قال: لا، فعاد الطائر كما كان.

ثم قال: يا ذا القرنين، اسلك هذه الدرجة التي في أعلى القصر، قال: فسلكها ذو القرنين وهو خائف، حتى إذا استوى على صدر الدرجة إذا سطح ممدود في واد عليه رجل قائم أو متشبه بالرجل شاب عليه ثياب بيض رافع وجهه إلى السماء واضع يده على فيه، فلما سمع حِس ذي القرنين قال: من هذا؟ قال: أنا ذو القرنين فمن أنت؟ قال: أنا صاحب الصور، قال: فما بالي أراك واضعًا يدك على فيك رافعًا وجهك إلى السماء؟ قال: إن الساعة قد اقتربت، فأنا انتظر من ربي

أن يأمرني أن أنفخ، ثم أخذ صاحب الصور شيئًا من بين يديه كأنه حجر، فقال: خذ هذا يا ذا القرنين، فإن شبع هذا الحجر شبعت، وإن جاع جعت، فأخذ ذو القرنين الحجر، ثم رجع إلى أصحابه، فحدثهم بالطير، وما قال له، وما رد عليه.

فجمع ذو القرنين أهل عسكره فقال: أخبروني عن هذا الحجر ما أمره؟ فأخذ العلماء كفتي الميزان، فوضعوا الحجر في إحدى الكفتين، ثم أخذوا حجرًا مثله فوضعوه في الكفة الأخرى فإذا الحجر الذي جاء به ذو القرنين مثل جميع ما وضع معه حتى وضعوا معه ألف حجر، قال: العلماء: أيها الملك، انقطع علمنا دون ذلك أسحر هذا أم علم ما ندري هذا؟! قال: والخضر ينظر ما يصنعون وهو ساكت، فقال ذو القرنين للخضر: هل عندك من هذا علم؟ قال: نعم، فأخذ الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذي جاء به ذو القرنين، فوضعه في إحدى الكفتين، ثم أخذ حجرًا من تلك الأحجار مثله فوضعه في الكفة الأخرى، ثم أخذ كفًا من تراب فوضعه مع الحجر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى، قال: فخرَّ العلماء سجدًا وقالوا: سبحان الله إن هذا العلم ما نبلغه، قال: ذو القرنين للخضر: فأخبرني ما هذا؟

قال الخضر: أيها الملك إن سلطان الله قاهر لخلقه، وأمره

نافذ فيهم، وإن الله تعالى ابتلى خلقه بعضهم ببعض، فابتلى العالم بالعالم، وابتلى الجاهل بالجاهل، وابتلى الجاهل بالعالم، وابتلى العالم بالجاهل، وإنه ابتلاني بك، وابتلاك بي، قال ذو القرنين: حسبك قد قلت فأخبرني، قال: أيها الملك، هذا مثل ضربه لك صاحب الصور أن الله - عز وجل - سبب لك البلاد وأعطاك منها ما لم يعط أحدًا، وأوطأك منها ما لم يوطئ أحدًا منها، فلم تشبع، فأبت نفسك إلا شرهًا حتى بلغت من سلطان الله - عز وجل - ما لم يبلغه أحد، وما لم يطلبه إنس ولا جان.

فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور، فإن ابن آدم لا يشبع أبدًا دون أن يحثى عليه التراب، قال: فهنا يا ذا القرنين، ثم قال: صدقت يا خضر في ضرب هذا المثل لا جرم لا أطلب أثرًا في البلاد، وبعد مسيري هذا حتى أموت، ثم ارتحل ذو القرنين راجعًا حتى إذا كان في وسط الظلمات وطئ الوادي الذي كان فيه زبرجد، فقال الذين معه: أيها الملك، ما هذا الذي تحتك؟ وسمعوا خشخشة تحتهم، قال: ذو القرنين خذوا، فإنه من أخذ ندم ومن ترك ندم، فأخذ منه الرجل الشيء بعد الشيء، وترك عامتهم لم يأخذوا منه شيئًا، فلما خرجوا فإذا هو زبرجد، فندم الآخذ والتارك، ثم رجع ذو القرنين إلى دومة الجندل، وكان بمنزله بها فأقام بها حتى

مات.

قال أبو جعفر: إن رسول الله ﷺ قال: رحم الله أخي ذا القرنين لو ظفر بالزبرجد في مبدئه ما ترك منه شيئًا حتى يخرجه إلى الناس؛ لأنه كان راغبا في الدنيا، ولكنه ظفر به وهو زاهد في الدنيا لا حاجة له فيه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

قال: وحدثنا الوليد بن أبان قال: حدثنا يعقوب بن سفيان قال: وقرأت على يحيى بن عبدك قال: حدثنا المقرئ قال: حدثنا عبد الرحمن بن زياد قال: حدثني سعد بن مسعود عن شيخين من شيوخ تجيب قالا: كنا بالإسكندرية فقلنا: لو انطلقنا إلى عقبة بن عامر، فتحدثنا عنده فانطلقنا، فوجدناه جالسًا في ظل داره، فأخبرنا الخبر فقال: إن رسول الله ﷺ قال: أنا عبد لا أعلم إلا ما علمني ربي، ثم قال: اذهب فمن وجدت بالباب من أصحابي فأدخلهم فلما رآهم النبي ﷺ قال لهم: إن شئتم لأخبرتكم بما جئتم تسألوني عنه قبل أن تكلموني، وإن شئتم تكلمتم فأخبرتكم بما جئتم تسألوني عنه، قالوا: بل أخبرنا. قال: جئتم تسألوني عن ذي القرنين، فسوف أخبركم كما تجدونه مكتوبًا في كتبكم، إن أول أمره كان غلامًا من الروم أعطي

ملكًا، فسار حتى أتى أرض مصر، فابتنى عندها مدينة يقال لها الإسكندرية، فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فعرج به، فقال: انظر ما تحتك فقال: أرى مدينتي، وأرى معهما مدائن، ثم عرج به، فقال: انظر ما ترى، فقال: أرى مدينتي قد اختلطت بالمدائن، ثم زاد فقال: انظر ما ترى، قال: لا أرى مدينتي وحدها لا أرى غيرها. فقال له الملك: لك تلك الأرض كلها، وهذا السواد الذي ترى محيطًا بنا البحر، وإنما أراد الله تبارك وتعالى أن يريك الأرض، وقد جعل لك سلطانًا فيها، فسر في الأرض فعلِّم الجاهل وثبِّت العالم، فسار حتى بلغ مغرب الشمس، ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس، ثم أتى السدين وهما جبلان لينان يزلق عليهما كل شيء، فبنى السد، ثم سار فوجد يأجوج ومأجوج يقاتلون قومًا وجوههم كوجوه الكلاب، ثم قطعهم، فوجد أمة من الفراش يقاتلون القوم القصار، ثم قطعها، فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة، ثم أفضى إلى البحر المدير بالأرض، فقالوا: إنا نشهد أن أمره كان هكذا.

***

الثابت من قصة ذي القرنين هو ما قصه الله تعالى مجملًا في سورة الكهف، وأما قصة دخوله في تلك الظلمة وشربه من ماء الحياة، فنقول: إن هذا لم يثبت، ولم يكن عليه دليل

واضح، فلأجل ذلك نتوقف فيه ونقول: الله أعلم بحقيقة الحال قد عرف بأن الحياة الدنيا ليست بدار قرار، وأنه ليس أحد يبقى فيها، ولا يأتي عليه الموت.

والحكايات التي يذكرونها أنها أن هناك من هو حي كالخضر وإلياس وذو القرنين وأنهم باقون لا يموتون كل هذه حكايات لا أصل لها، بل الواقع يكذِّبها، فمن ادعى أن هناك نهرًا يسمى نهر الحياة، وأن من شرب منه فإنه يحيا ولا يموت، فإن هذا غير صحيح، فهذه القصة التي فيها أن ذا القرنين سأل هؤلاء الملائكة وأخبروه بهذه العين وأخبروه بهذه الظلمة، وأنه سار ومن معه حتى وصلوا إلى هذه الظلمة التي لا يدخلها أحد، وأنه عزم على دخولها، إلى آخر ما ذُكِر في هذه القصة نرى أنها إسرائيليات لا تُصدَّق ولا تُكذَّب.

ولكن الدلائل على أنها غير صحيحة ظاهرة لمن تأملها، والقصص التي يذكرونها أن إلياس حي، وأنه اتصل به فلان ورآه فلان، هذه أيضًا ليست صحيحة، والقصص التي يذكرون فيها حياة الخضر وأنه نبي وأنه حي ما مات، وأنه باق، وأنه لقيه فلان ولقيه فلان وكلمه، وقال: أنت الخضر... هذه أيضًا لا حقيقة لها، قد أثبت العلماء أنه لا يبقى أحد معمر، بل الله تعالى هو الحي الذي لا يموت قال الله تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ وقال: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾
وقد استدل البخاري -رحمه الله- على موت الخضر وغيره بالحديث الذي في الصحيح أنه ﷺ قال في آخر حياته: أرأيتم مائة سنة بعد هذا فإنه لا يبقى على وجه الأرض نفس منفوسة إلا ماتت يريد بذلك انقضاء قرنه؛ يعني أنه في ذلك القرن يموت من كان على وجه الأرض الآن، وليس المراد موت الخلق كلهم، يريد أن الموجودين على وجه الأرض في تلك الساعة لا يأتي عليهم مائة سنة إلا وقد انقضوا ووُلِد غيرهم وعاش من بعدهم، هكذا جاء هذا الحديث مفيدًا أنه لم يكن أحد باقيًا إلا الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ قد حدد الله تعالى الآجال العادة والمتبع أنه يقل أن يتجاوز الإنسان التسعين من السنين ومن جاوز التسعين أو جاوز المائة فإنه نادر، والأغلب موتهم في السن المبكرة، يقول النبي ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجاوز ذلك»، لكن قد يكون في الأمم السابقة من يمد في عمره، كما حكى الله تعالى عن نوح أنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، أي مكث في قومه يدعوهم تسعمائة وخمسين سنة، فيمكن أن هذا من خصائص نوح، ويمكن أن الأنبياء وأن أهل ذلك الزمان تطول أعمارهم.

وقد ورد أيضًا في حديث أن الله جعل عمر آدم ألف سنة، هذا قد يكون أيضًا من خصائصه، ويمكن أن أول الخلق في ذلك الزمان تكون أعمارهم طويلة إلى أن تقاصروا وصاروا في هذا الزمان لا يتجاوزون المائة إلا نادرًا، ثم في هذه القصة أن ذا القرنين مشى على الأرض ووصل مطلع الشمس، ووصل مغربها؛ قد ذكر بعض العلماء أن الذين ملكوا الدنيا أربعة مسلمان وكافران؛ أما المسلمان فذو القرنين وسليمان، وأما الكافران فالنمرود وبختنصر، لما ذكر ذلك ابن كثير توقف في ذلك وقال: الله أعلم بصحة ذلك.

فليس في قصة ذي القرنين أنه ملك الدنيا، وإنما فيها: إنه سار في جانب منها، وقد يكون سيره في طريق واحد، إن مرَّ بهم قاتلهم إلا أن يُسلموا، ولا يمكن أنه يسير في جوانب الأرض شمالًا وجنوبًا، فإن الأرض واسعة، وأيضًا فإنه انتهى سيره في جهة الغرب إلى تلك العين الحمئة ولم يتجاوزها، ولا بد أن بعدها خلق لم يبلغهم، وكذلك أيضًا مطلع الشمس وصل إلى مكان تطلع منه الشمس، ولا بد أيضًا أن وراء الشمس ووراء مطلعها خلق الله أعلم بهم، فهل يقال إنه ملك الدنيا؟

كذلك أيضًا أن ما ذكر الله تعالى أنه يمر بهؤلاء فيقاتلهم إلى أن يسلموا، فيمر على المسلمين فيثبتهم ويجازيهم، يقول الله عنه: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ يعني يعذبه إما بقتال وإما بحبس وإما بتأديب وإما بضرب أو جلد أو نحو ذلك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ يدل على أن عذابه في الدنيا لا يكفي عن عذابه في الآخرة، بل الله تعالى يعذبه في الآخرة بالعذاب الأشقى الذي هو عذاب النار، وأنه يقول: ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يدل على أنه يجازي ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ فهذه سيرته.

ولا شك أنه إنما يسير فيمن حوله، ويمكن أن الله تعالى سخر له الريح أو سخر له البحار حتى تحمله وتقربه إلى ما يريد، أو سخر له من الدواب ما يسير به سيرًا سريعًا إلى أن وصل إلى ما وصل إليه.

وأما سليمان، فقد ذكر الله تعالى أنه سخَّر له الريح غدوُّها شهر ورواحها شهر، أي أنها تحمله في أول النهار مسيرة شهر، وفي آخر النهار مسيرة شهر، ولكن ذلك لا يدل على أنه ملك الدنيا كلها.

فالواقع أن القصص التي ذُكِرت في القرآن مجملةً يؤمن بها المسلمون، ويقولون هذا مما أخبر الله به فنصدقه ونردُّ على من ينكرها أو يكذب بوقوعها أو يقول: إنها غير مرئية أو غير مشاهدة أو أين هي، فإن أرض الله تعالى واسعة، ولم يحيطوا علمًا بما على وجه الأرض، فكيف مع ذلك يكذبون بأشياء لا يحيطون بها يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أي إلا بما علمهم وأطلعهم عليه وأمر الأمم السابقة، قد أخبر الله تعالى ببعضه ولم يخبر به جميعًا، يقول الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

والحاصل أن سبب نزول هذه القصة مجملة سؤال كفار قريش لليهود وإخبار اليهود بأنه له خبر عجيب، وكذلك أيضًا قصة الكهف وأصحاب الكهف لهم خبر عجيب، ولكن ليس ذلك بعجيب على قدرة الله تعالى؛ فإنه على كل شيء قدير، وإنه قد أحاط بكل شيء علمًا، وإن العباد مهما حاولوا لا يحيطون بعلمه الذي وسع كل شيء، يقول تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فإذا كان كرسيه وسع هذه المخلوقات السماوات والأرض ونسبة

الكرسي إلى العرش أيضًا نسبة صغيرة، فالإنسان مهما بلغ من العلم عاجز عن أن يحيط بعلم الله.

أسئلة:

س: زعم بعض المتأخرين أن يأجوج ومأجوج قد يكونون هم أهل الصين، وأن السد المذكور هو سور الصين المعروف فكيف نرد على هذا التأول؟

هذا قول قيل؛ لأنهم لما سمعوا أن العلم قد اتسع، وأن البلاد قد تقاربت، وأن الاطلاع قد حصل على أطراف الأرض بواسطة المكالمات وبواسطة الطائرات ونحوها، قالوا: أين يقع هذا السد؟ وأين يقع هؤلاء الخلق الذين هم يأجوج ومأجوج؟ أحطنا بأطراف الأرض وبأرجائها، ولم نجدهم، فأين هم؟ فادّعى بعضهم أنهم هم الصين، ولكن لا تنطبق عليهم تلك الصفات ويمكن.. الله أعلم أين هم.